روايات أحلام

نغم إلى الأبد

آن ستيفنز

www.elromancia.com

٢٨

مرمورية

نغم إلى الأبد

آن ستيفنز

انطلقت ساندرا لاوسون في عالم الاغنية وخفق اسمها مقروناً باسم شركة اوليفر ساندرز التلفزيونية الشهيرة. . .

لم تكن ساندرا تحلم يوماً بالنظر إلى فوق، إلى عالم ذاك الرجل القوي النافذ اوليفر، ثم إنه متزوج من جينا الجميلة المدللة. . .

ولكن ماذا تفعل وقد خفق قلبها بعنف؟

لم تكن تدري أي آلام تعـــبّد طريق هذا الحب الذي انطلق سرياً. . . ممنوعاً. . . مهدداً.

ساندرا الرائعة الصوت أحبت من ليس لها. . . وأحبها من ليست له، ولا تحبه وإن كانت مدينة له بشهرتها ولكن هل يوصل الطموح إلى الجريمة؟

وهل يطيح الحب بكل الاعتبارات؟

السعر ١٥٠٠ ل.ل. تصدر عن دار الفراشة

١ ـ نجمة تخبو

«عاش الفن. . . عاش الحب. . لقد عشت للفن. . لقد عشت للحب»

توالت الكلمات الأخيرة من الأغنية متباطئة وقد جمعت بين العاطفة والقوة .

وارتفعت يدا ساندرا لاوسون إلى صدرها، ولمحت عيناها عيني الرجل الأسمر الجالس في الظل، مُنتظرة بقلق أن يتكلم.

ـ برافو. . برافو، يا عزيزتي. .

وما أن تقدمت نحوه حتى ذهلت لمرأى الدموع في عينيه.

ـ سوف نجعل منك مغنية.

هذا تقدير مبالغ فيه، ومع ذلك خفق قلب ساندرا بسرعة وهي تضع ورقة «النوتا» في صندوقها وتتناول معطفها.

دموع في عيني البروفسور فاليرو! هذا أكثر ما تستطيع أن تتذكر، الدموع الوحيدة التي ذُرفت في هذه الغرفة كانت دموعها!. ولن تنسى أبداً ذلك اليوم، عندما وقفت أمام الأستاذ الإيطالي الشهير، ليقول لها إنه لا يمكنها الغناء أبداً، وإن عليها أن تبدأ من جديد!.

ولكن شيئاً لا يمكن أن يلوي تصميم ساندرا على النجاح، بطريقتها المفعمة بالإرادة، فانصرفت إلى دراسة الاوبرا وساعدها على ذلك الميراث الذي تركته لها عرَّابتها.

وها قد حصلت ساندرا الآن على مكافأتها فأشهر التمرين الشاق والتدريب الذي لا ينتهي على السُّلَّم الموسيقي، قد آتى ثماره في النهاية، حتى أنها هي نفسها كانت مذهولة لقوة ومدى الصوت الذي باتت تمتلكه. . .

بينما هي في انتظار الباص الذي سيقلها إلى منزلها، أخذت تحلم

بالمستقبل، وتخيلت نفسها على المسرح، تأسر اهتمام الحضور وهي تلعب دور الفتاة المثيرة للشفقة «ميمي» أو الوقحة الملتهبة «موزيتا» !.

كانت تسير وكأنها تطير عندما دخلت المنزل الذي تعيش فيه مع أمها وشقيقها، لم تجد أحداً في غرفة الجلوس وما هي إلاّ هنيهات حتى دخلت أمها حاملة صينية الشاي. فقالت ساندرا :

ـ دعيني أحملها عنك، أنت تعلمين أنه عليك تجنُّب حمل الأشياء الثقيلة.

ـ وهل صينية الشاي ثقيلة؟.

جلست أمها بعد أن وضعت الصينية على طاولة صغيرة في حين تنهَّدت ساندرا فالجدل غير مجد مع والدتها فمع أنها تعاني من الربو منذ سنوات عدة، إلاّ أنها ترفض النظر إليه على أنه مرض عميت، حتى النوبة القلبية التي انتابتها مؤخراً لم تخفها. . وكان هذا مبعثاً للسرور لساندرا التي كانت ترجو من أعماق قلبها أن تُعنى أمها بنفسها وقطعت السيدة لاوسون أفكار ابنتها قائلة :

ـ أزيلي مسحة البؤس هذه واجلسي لتناول الشاي.

رفعت ساندرا غطاء الطبق الفضي ونظرت إلى ما فيه.

ـ كعك محمَّص بالزبدة. . يا للسماء !. لا يجب أن آكل منها دائماً يا حبيبتي. إنها تجعلني سمينة !.

ـ لا داعي للقلق. . فأنت نحيلة جداً في نظري.

ـ سأكون أول مغنية أوبرا نحيلة ! فأنا سأكره لعب دور «ميمي» التي تموت جوعاً في حجرتها الوضيعة، وأنا مترهلة !.

ـ وهل ستلعبين دور «ميمي» !؟.

تراجعت السيدة لاوسون إلى الخلف وقد بدا حزنٌ على وجهها.

ـ أتمنى لو أن والدك حي. . لكان سعيداً لأجلك. تعرفين أني لم أكن أتوقع أن يستقر أخوك بيري في العمل مع الـ «بي. بي. سي» يبدو حقاً أنه يحب عمله.

ـ ليس الـ«بي. بي. سي» يا أمي إنها «ش. ت. م».

ـ كلُّهم سواء.

وعلا صوت من ناحية الباب :

ـ بالطبع ليسوا كلهم سواء.

إنه بيري وكان شاباً نحيلاً أسود الشعر أبيض الوجه، دخل الغرفة، ورمى حقيبته على كرسي، ضحك لساندرا وانحنى ليقبل والدته :

ـ شركة التلفزيون «ش. ت. م» متقدمة بعدة أجيال عن الإذاعة البريطانية، وعليك أن تعرفي هذا !. نحن متقدمون عنهم بعشر مرات، ونكسب أيضاً أكثر منهم بعشر مرات !.

وردت عليه ساندرا بخشونة :

ـ وأنت تعمل بقدرة عشر مرات أكثر، ألا تمل من تقديم برنامج الأحاجي، كل أسبوع؟.

ـ أنا لا أمل من التعامل مع المال، والجائزة الكبرى الآن بلغت ألف جنيه !.

ـ وماذا سيكون السؤال هذه المرة؟.

ـ في الجغرافيا، سأخبركما عنه غداً، لا أستطيع التحدُّث الآن فلديّ موعد.

وأخذ يصفِّر بمرح وهو يسير في الممر، وبدأت السيدة لاوسون في تجميع أغراض الشاي، وسألت ابنتها :

ـ ما هي مشاريعك لهذه الليلة يا حبيبتي؟.

ـ هناك حفلة موسيقية على الراديو أود أن أسمعها.

ـ أليس من الأفضل أن تخرجي مع إحدى صديقاتك؟. فأنت قد جعلت الغناء كل شيء في حياتك.

ـ هذه هي الطريقة الوحيدة للنجاح في هذه المهنة.

ولتتجنَّب مزيداً من النقاش، حملت ساندرا الصينية إلى المطبخ.

وفي أحد الأيام وصلت ساندرا باكراً إلى المنزل بشكل غير متوقَّع، وكانت تعرف أن أمها عند أصدقاء لها تلعب الورق، لذا كانت مرتاحة لأن أمامها بضع ساعات تقضيها لوحدها تماماً، وتوقفت بدهشة في غرفة

www.elromancia.com

الجلوس عندما رأت شقيقها بيري واقفاً قرب الموقد، فسألته بقلة اكتراث :

ـ ماذا تفعل في البيت باكراً؟. هل ربحت الجائزة؟.

واختفت ابتسامتها عندما استدار شقيقها ورأت وجهه.

ـ ما الخطب يا بيري؟. منظرك فظيع؟ !.

ـ هذا ما أشعر به أيضاً !.

وانتظرت منه أن يتابع كلامه ولكنها أدركت أنه لا ينوي أن يفعل، فاقتربت منه، مُتذكرة طفولتهما عندما كان يلجأ إليها عند كل مشكل يحصل له، وقالت له بهدوء :

ـ اخبرني بالأمر. . لا يمكن أن يكون الأمر سيئاً لهذه الدرجة !. أخبرني فلربما استطعت مساعدتك !.

ـ لا يستطيع أحد مساعدتي. فالواقع أنني. . لقد أخذت بعض المال. .

ـ أتعني مالاً ليس لك؟.

ـ نعم.

ـ وكم المبلغ؟.

ـ ألفي جنيه !.

وأحست بالدم يجف من وجهها.

ـ ألفي جنيه؟. ولماذا أخذتها؟.

وبصوت متلعثم ومنخفض بالكاد استطاعت أن تسمعه، أخبرها ما حدث، وكانت قصة عادية مألوفة، أحدهم في الأستوديو يملك حصة في جواد سباق، وبدافع المرح وضع بيري رهاناً عليه، والربح المفاجىء أغراه فراهن ثانية ولكن سوء الحظ تلاحق، وواجه في وقت قصير خسارة ألف جنيه، فضغط عليه صاحب مكتب الرهان ليدفع فما كان من بيري إلاّ أن استقرض المال ليراهن به كاملاً، وإذا بخسارته تتضاعف.

ـ أنت تعرفين أنني أعمل مع براد أدامس في برنامج الأحاجي، وأنا مسؤول عن المال الذي يُدفع كجوائز، و. . . و. . .

ـ هل تعني بأنك سرقته؟.

ـ لقد استقرضت ألف جنيه منه، ولكنني خسرتها كلها،

وأغمضت ساندرا عينيها، غير قادرة على تحمّل رؤية الألم على وجه بيري. تعلم بأنها يجب أن تكون غاضبة عليه، ولكن كل ما استطاعت أن تشعر به هو الشفقة، فسألته :

ـ هل يعلم السيد أدامس بالأمر؟.

ـ نعم. . وقال بأنني لو أعدت المبلغ فلن يخبر أحداً.

وهبّت ساندرا واقفة :

ـ ولماذا لم تقل لي هذا من قبل؟.

ـ وما الفائدة؟. لم يكن لديّ أمل في إيجاد المال إلاّ بتجربة حظّي ثانية، لقد حاولت التفكير أين سأجد المال ولكن دون جدوى، هذه هي نهاية حياتي العملية هذا إذا لم يكن أسوأ، فلو أن الشركة قاضتني سأصبح في السجن.

وأخذت ساندرا تصغي إليه، وهي تعلم أن الحل في يدها، ولن يكون بإمكانها متابعة دروس الغناء، إذا استخدمت المال لإخراج شقيقها من ورطته، وهي بذلك تنقذ أمها أيضاً، فلو دخل بيري إلى السجن فسوف تقتلها الصدمة بسهولة، ونظرت إلى وجه شقيقها، ورأت الدموع تلمع في عينيه، وفكّه يرتجف، ودون أن تفكّر بالمزيد أمسكت بيدي بيري قائلة :

ـ لا تتكلم عن السجن. لن أتحمل التفرُّج على حصول شيء كهذا. أنت لا تملك مثل هذا المال ولكنني أملكه.

ـ هل تعنين إرثك؟. لا أستطيع تركك تفعلين هذا، فأنت تستخدمينه لدروس الغناء !.

ـ لن أشعر برغبة في الغناء وأنت في السجن. . لا يا بيري يجب أن تستخدم المال لدفع ديونك.

ـ يا إلهي يا ساندرا !. أنا لا أستحق هذه التضحية.

ـ أنا لا أفعل هذا من أجلك، أنا أفكر بأمنا، فلو أدخلت السجن سوف تقتلها الصدمة.

www.elromancia.com

عند ذكر أمهما، غرق بيري في مقعده.

ـ كنت أفكر بوالدتي منذ أن غادرت مبنى الشركة.

ـ للأسف أنك لم تفكّر بها قبل أن تبدأ المقامرة!.

ـ لا ألومك على هذا الكلام معي، أنا لا أستحق أن ينقذني أحد.

ـ لا تتكلم هكذا كالغبي. . بالطبع أنت تستحق الإنقاذ، معظم الشبّان يقعون تحت دين القمار في بعض الأوقات، ولكن دينك أعلى من المستوى المعروف، وهذا كل شيء، هل هناك مانع من إعطائك المال غداً؟.

ـ لا بأس. . سأدفعه لبراد أدامس فوراً. . الأفضل أن تعطيني المبلغ نقداً يا ساندرا.

ـ حسناً. . سأذهب إلى البنك باكراً. .

في الصباح سارعت ساندرا إلى البنك، وبعد الإجراءات، اعطت المبلغ لشقيقها ثم توجهت إلى البروفسور فاليرو لتبلغه بأنها لن تستمر في الدروس، فتلقّى النبأ، كأنه خسارة شخصيّة له.

ـ يجب أن لا تستسلمي. وإذا كنت لا تستطيعين دفع تكاليف الدروس فسوف أدرسك دون مقابل، فالعالم سيخسر نجمة.

ـ هناك الكثير من النجوم في السماء يا بروفسور.

ـ ولكنها لا تشعُ مثلك.

لم يعد هناك ما يُقال حول الموضوع، فأسرعت بالخروج إلى الطريق، الساعة الآن الحادية عشرة، لابد أن بيري قد دفع المبلغ للسيد أدامس، ليُنقذ بهذا مستقبله وفي الوقت ذاته يدمّر مستقبلها، يا للمرارة!. وما أن وصلت إلى البيت حتى شرعت بتحضير المائدة في غرفة الطعام ولكن!. أتى لها الجرأة على إخبار أمها أنها قد تخلّت عن الغناء. وبدا لها أن الأمر يزداد صعوبة كلما استمرت في إخفائه. . ربما عليها أن تبادر الآن لإبلاغها الأمر. . وما هي إلاّ لحظات حتى لمحت أخاها بيري يدخل. . فاستدارت لتحييه، نظرة واحدة إلى وجهه أخبرتها بأن شيئاً قد حدث، فجذبته إلى غرفة الطعام وأغلقت الباب :

ـ ما الأمر؟. ألم يأخذ السيد أدامس المال منك؟.

ـ لقد أخذه، ولكنه أعطاني شيئاً آخر، إنه إنذار بترك العمل.

ـ ولكنه قال إنه سيعطيك فرصة أخرى!. ليس له الحق أن لا يفي بوعده.

ـ لم يخلف بوعده، ولكن بطريقة ما علم «أ. س» بما حدث.

ـ ومن هو «أ. س»؟.

ـ أوه. . لأجل السماء!. إنه رب العمل، الرئيس الكبير لشركة «ش. ت. م» في المملكة المتحدة، أوليفر ساندرز.

ـ لا تجعله يبدو مؤثراً هكذا، فمهما كان لقبه يبقى رجلاً عادياً.

ـ كل ما يحيط بـ «أ. س» ليس عادياً. لو ترينه بنفسك!. له وجه كوجه الصقر ودماغ يناسب وجهه لقد استدعى براد بعد الظهر وأبلغه أنه يجب أن أترك العمل فوراً، قائلاً : «لا نستطيع تحمُّل حلقة ضعيفة في السلسلة، وإذا كان الشاب قد خدعنا مرة فإنه قد يفعل هذا ثانية»، ورجاه براد أن يعطيني فرصة أخرى، ولكنه لم يستمع إليه.

وابتسم بيري بمرارة، وتابع :

ـ هذا يعني نهاية مهنتي، فلن يوظفني أحد دون كتاب توصية، ولن أستطيع تصوّر نوع التوصية التي سيعطيني إياها السيد «أ. س» لو طلبت منه!.

ـ هذا ليس عدلاً، لا بد أن يعرف بأن الناس تخطىء، ربما لو قابلته بنفسك. .

ـ لن يكون هذا مفيداً. . .

ـ إذاً سأذهب لمقابلته بنفسي.

ـ لن يجدي هذا نفعاً، ثم أنه سيرفض رؤيتك.

ضغطت ساندرا على أسنانها بعناد ثم قالت :

ـ إذاً سأبقى منتظرة عند باب مكتبه إلى أن يقابلني ولست أهتم بمدى سلطته. . فأوليفر ساندرز بالنسبة لي هو مجرد رجل، وليس ملكاً، سأذهب لرؤيته غداً.

www.elromancia.com

٢ ـ ندم وأمل

الثقة بالنفس التي كانت تمتلكها ساندرا عندما صمَّمت على مقابلة أوليفر ساندرز تلاشت في اليوم التالي، عندما دخلت البناء الضخم الذي يحتوي على مكاتب واستديوهات «ش. ت. م»، المُرتفع بائتي عشرة طبقة وقد علت واجهة المبنى لوحة «شركة التلفزيون المتحدة» وهي تلمع بألوان النيون وفوق الأبواب، والنوافذ، وفي كل مكان كانت تظهر حروف «ش. ت. م» باللون الذهبي والأسود. ودخلت ساندرا رُدهة رخامية واسعة مزدحمة بالناس. واتجهت إلى أحد المصاعد لكن حارساً تقدَّم منها وسألها :

ـ عمَّن تبحثين يا آنسة؟.

ـ عن السيد ساندرز.

ـ وما اسمك؟.

ـ الآنسة لاوسون.

طلب منها أن تنتظر قليلاً في حين تحدث بالهاتف. ثم قال لها بعد أن أعاد السماعة إلى مكانها :

ـ آسف يا آنسة. سكرتيرة السيد ساندرز تقول إنك لست على موعد معه، ولا يرغب في تحديد موعد معك.

وترددت ساندرا للحظات، ماذا ستفعل، ثم طلبت من الحارس إعطاء اسمها لبراد أدامس ففعل وأوضح قائلاً :

ـ أنت محظوظة سيقابلك فوراً، اصعدي إلى الطابق الخامس غرفة ٥٠٧.

بعد بضعة دقائق دخلت إلى مكتب مفروش بشكلٍ جميل، ونهض رجل أشقر الشعر ذي عينين زرقاوين، من خلف مكتبه ليحييها. . وقال لها بصوت منخفض وباللكنة الإيرلندية :

ـ آنسة لاوسون؟.

ـ لطف منك أن تقابلني سيد أدامس.

ـ العفو، تفضلي بالجلوس.

ثم سألها :

ـ هل تدخنين؟.

ـ لا شكراً لك، أعتقد بأنك تعرف سبب زيارتي؟. إنها حول شقيقي.

ـ لقد خمَّنت هذا، ولكني أخشى أن لا أستطيع فعل شيء، فعندما يتدخَّل الـ «أ. س» لا يسعنا إلاَّ أن نتراجع.

ـ أنا متأكدة أنك قد فعلت ما باستطاعتك، ولكنني أرغب في فرصة لمقابلة السيد ساندرز بنفسي، لقد حاولت أن أحصل على موعد ولكنه رفض، وآمل أن. . تستطيع تدبير موعد لي.

وحدَّق الرجل إليها ثم قال أخيراً :

ـ يجب أن يكون ذلك الآن أو لن يكون أبداً، إنه مسافر غداً إلى نيويورك، انتظري لحظة وسأرى ما أستطيع عمله.

وأغلق الباب وراءه في حين نهضت ساندرا لتحدِّق عبر النافذة إلى الشارع وتصاعدت الصلوات على شفتيها وقد أغمضت عينيها، وإذ بها تسمع صوت براد أدامس من خلفها :

ـ لقد تم الأمر، سيقابلك الآن.

واستدارت، ووجهها يضيء عرفاناً بالجميل وهزَّ الرجل رأسه وقال :

ـ لا تتفاءلي كثيراً يا آنسة لاوسون، فلن تحققي شيئاً ولو فكرت أكثر، لما دبرت لك المقابلة.

ـ ولكنك فعلت، لذا يجب أن تكون متفائلاً!.

ـ لا يتعلق الأمر بالتفاؤل. . . أنا فقط مُعجب بالعيون الخضراء. تعالي. . . سآخذك إلى مكتبه.

صعد بها إلى الطابق التالي حيث كان الهدوء شديداً ثم توقف عند أحد الأبواب قائلاً :

ـ لقد وصلنا. . لن أدخل معك، ولكنني أتمنى لك كل الحظ.

www.alromancia.com

وتنفّست ساندرا بعمق ثم طرقت الباب، ودخلت غرفة واسعة فُرِشَتْ أرضها بالسجاد السميك، وقد برزت فيها طاولة سوداء ضخمة، وقد جلس إليها رجل بدا منهمكاً بالكتابة، فقال دون أن ينظر إليها :

ـ اجلسي من فضلك، لن أؤخرك.

جلست ساندرا وقد هالها عدم وقوفه لتحيتها، وأدهشها أنه يختلف تماماً عمّا تصورته، لقد كان أصغر عمراً مِمّا توقّعت في أواخر الثلاثين من عمره، شعره أسود أشيب قليلاً عند الفودين، وبدا لها رجلاً رياضياً. ونظر إليها فإذا بها تنظر إلى عينين باردتين رماديتين، كان صوته منخفضاً وعميقاً حين قال :

ـ حسناً. . ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك؟.

ـ أنا. . أنا ساندرا لاوسون وجئت لأراك بخصوص شقيقي.

ـ أوه. . الشاب الذي سرق المال. . حسناً. . أنا آسف آنسة لاوسون. أخشى أن تكوني قد أضعت وقتك، فشقيقك تحت الإنذار بترك العمل، وليس ثمة شيء نناقشه إذ لن أقبل بعمل لص في شركتي !.

وتصاعد الغضب في داخلها، وبمجهود كبير سيطرت عليه.

ـ شقيقي ليس لصاً سيد ساندرز، ومثل العديد من الشبان، ورّط نفسه في المشاكل، ولم يعرف إلى مَنْ يلجأ، وعندما سنحت له فرصة استعارة بعض المال لم يستطع مقاومة الإغراء. ولقد أعاد أخي كل قرش أخذه، ولن يفعل هذا ثانية، أرجوك أن تعطيه فرصة أخرى.

ـ لا !. .

ـ لماذا؟. . إذا طردته دون كتاب توصية فسوف تدمّر مستقبله. وأنا لا أتوسل إليك فقط من أجل بيري سيد ساندرز بل من أجل أمّنا أيضاً. فلو اكتشفت ما فعل لقتلتها الصدمة.

ـ كان على شقيقك التفكير بهذا الأمر قبل أن يمد يده إلى المال، فلو أن كل المخطئين تُركوا دون عقاب على أساس أن شخصاً بريئاً سوف يُعاني، فسيصبح العالم في فوضى أكثر مما هو عليه الآن !.

ـ ولو أن كل الناس كانوا قُساة كما أنت فلن يكون هذا العالم جديراً

بالحياة على كل الأحوال !.

وأدركت بأن شيئاً لن يجعله يغير رأيه، فملأها الغضب حتى أنها لم تكن تعي ما تقول.

ـ وبأي حق تقيم نفسك في موضع الحكم !. كلنا بشر وكلنا نخطىء. ومع ذلك فلك الجرأة بأن تدمر حياة شاب صغير دون أن تهتم !. ألم تفعل شيئاً في ماضيك تندم عليه؟. هل كنت دائماً متفوقاً وعلى حق؟.

وضربت على طاولته بقبضة يدها وتابعت :

ـ أتستطيع أن تنظر إلى وجهي وتقول بكل صدق بأنك لست نادماً على شيء قد فعلته في حياتك؟. أتستطيع أن تقول بأنه لو سنحت لك الفرصة لما غيرت مقدار ذرة من حياتك؟.

وتلاشى صوتها، وارتعدت من ثورتها هذه وحدّقت إليه بخوف، ولاحظت على وجهه ما جعلها تشعر بأنه لم يسمع أي شيء قالته، بعد صمت بدا لها وكأنه زمن لا نهاية له قال :

ـ لقد أوضحت وجهة نظرك جيداً آنسة لاوسون، وأنا لست غير إنساني أو قاسي القلب. ولن أنظر في عينيك لأقول إنني لم أفعل أبداً أية غلطة في حياتي أو إنه ليس هناك ما أندم عليه. فهناك الكثير من الأشياء أندم عليها. . . سأعطي شقيقك فرصة أخرى، وسيتم نقله إلى برنامج آخر حيث لا يغريه المال ليقوم بغلطة مماثلة. . وأعدك أن أمحو كل شيء عنه في ذهني.

حدّقت ساندرا إليه مصعوقة، وهي تتساءل عن سرّ هذا التغيير المفاجىء لرأيه. من الواضح أنه شيء قالته، شيء أطلق عنان تفكيره في عمل ما قام به في الماضي ويندم عليه، شيء يتمنى أن يُلغيه من حياته كما ألغى الآن قرار فصل بيري .

ـ لست أدري كيف أشكرك سيد ساندرز، ولن تندم على قرارك، أعدك.

مدت له يدها ودون أن تتوقع، ابتسم. ودُهِشَت حين بدا بابتسامته

www.elromancia.com

أصغر من عمره بعشر سنين.

ـ أتمنى أن تكوني على حق آنسة لاوسون.

صافحها باختصار وثبات، وابتسمت له ثم سارت نحو الباب، وهي تفتحه نظرت إليه ثانية فلاحظت أنه يكتب وقد نسي وجودها تماماً.

وما أن غادرت مكتب أوليفر ساندرز حتى أسرعت بنزولاً، متشوقة لإخبار السيد براد أدامس بما جرى وما أن رفعت يدها لتطرق الباب، حتى فُتحَ وقد ظهر أدامس بنفسه فقالت له.

ـ كنت أفتش عنك !.

وتوقفت عن الكلام عندما رأت امرأة طويلة نحيلة إلى جانبه وبالرغم من الضوء الباهت في الممر، فقد بدت اجمل امرأة شاهدتها ساندرا في حياتها، فقالت معتذرة :

ـ لم أعلم بأنك مشغول. . . سأتصل بك لاحقاً.

ـ توقفي. . أريد أن أكلمك الآن.

والتفت إلى المرأة بجانبه :

ـ جينا. . هذه الآنسة لاوسون، شقيقة الشاب بيري لاوسون، وهذه السيدة أوليفر ساندرز، وهي في الواقع ابنة خالي.

فابتسمت لها ساندرا وبادلتها السيدة ساندرز الابتسامة، قبل أن تُعيد نظرها إلى الرجل.

ـ سأراك عند الثانية مساءً إذن. لا تتأخَّر.

ـ سأحاول أن لا أتأخر، لديّ اجتماع لدراسة بعض القصص.

وانتظر إلى أن ابتعدت المرأة في الممر ثم قاد ساندرا إلى مكتبه.

ـ لا حاجة لي لأن أسأل ما إذا كانت زيارتك ناجحة، أستطيع ملاحظة هذا على وجهك.

فضحكت ساندرا وقالت :

ـ لقد وافق السيد ساندرز على إعطاء بيري فرصة أخرى.

ـ إنه هكذا، لا يمكن التنبؤ بما سيفعل. أما تخلّيك عن إرثك لتخليص بيري من ورطته فأعتقد أنه أمر مُلفت للنظر

ـ لم يكن لديّ خيار آخر.

ـ ماذا تساوي العائلة بدون أخ؟. والآن ماذا ستفعلين بنفسك بعد أن تخليت عن الغناء؟.

ـ لست أدري.

ـ سوف تفتقدين الغناء أليس كذلك؟.

وآلمها السؤال بحيث أنها لم تستطع الإجابة، وأجبرت نفسها على التفكير بشيء آخر. وجاءها صوت براد أدامس رناناً ومُتعجرفاً :

ـ آنسة لاوسون، كم تعرفين عن الموسيقى؟. عن المؤلفات والسيمفونيات وما شابه؟.

ـ الكثير كما أعتقد. . لماذا؟.

ـ لأنني فكرت أن تظهري في أحد برامج الأحجيات لدينا. وإذا كنت محظوظة فقد تكسبين ما يكفي لتغطية المبلغ الذي أعطيت لبيري، ثم أن بيري ترك هذا البرنامج ولن تكسري بمشاركتك أية قاعدة. ما رأيك؟.

وقطّبت ساندرا حاجبيها، إنها تشاهد برنامج الأحجيات دائماً، ولكنها لم تفكر أبداً بأن تظهر فيه. ولكن لِمَ لا؟. وإذا ربحت، فستحل مشاكلها وهنا ردت قائلة :

ـ حسناً. . سأفعل.

وغادرت ساندرا «ش. ت. م» بمعنويات عالية. ولكن بمرور الأيام واقتراب موعد ظهورها في البرنامج تحوَّل تفاؤلها إلى تشاؤم وتمنَّت لو أنها لم توافق، وأعطاها براد أدامس مجموعة كبيرة من كتب المراجع، ومع أنها درستها بدقة، فقد زاد ارتباكها. لقد كانت تعتقد دائماً أنها تملك معلومات كثيرة عن الموسيقى وعالم الموسيقى، ولكن بعد أن قرأت كل شيء، هبطت ثقتها بنفسها إلى الصفر.

وحلت ليلة ظهورها في البرنامج سريعاً. وأبلغت بأن عليها أن تكون في الاستديو قبل ساعة. وقد قالت لها والدتها وهي تقبلها :

ـ لست أدري لماذا أنت قلقة يا حبيبتي. فإن ربحت كان أمراً جيداً وإن خسرت فلن يزعجك هذا، أنا واثقة.

www.elromancia.com

وأوصلها التاكسي خارج المسرح، وهو جزء آخر من أملاك شركة التلفزيون يُستخدم للبث الخارجي. واتجهت إلى المسرح مباشرة. . دزينة من الناس كانت تتحدث معاً. ولكن أحداً لم ينتبه إليها. واستمعت إلى رجل يعطي تعليمات اللحظات الأخيرة إلى امرأة بجانبه.

ـ لا تنظري إلى المشاركين دائماً، ولا تنظري أيضاً إلى المتفرجين، وحاولي أن تنسي أنك على الهواء.

ـ هذا صعب وكل هذه الأضواء مركّزة عليّ.

ـ لا تفكري بها.

ومرر يده بقلق على شعره، وحانت منه التفاتة إلى ساندرا.

ـ ومَنْ أنت؟. فأخبرته ساندرا.

ـ آه. . أجل لقد أخبرني براد عنك، تعالي، سأريك المسرح.

وفتح باباً حديدياً ووجدت ساندرا نفسها على المسرح. المناظر الخلفية تمثّل حدود سماء لندن، الكاميرات كانت موجودة في أماكنها وعلى الأرض كابلات الكهرباء الغليظة. سارت بحذر فوقها إلى الجانب البعيد من المسرح حيث قدمها إلى رجل يضع قلماً خلف أذنه، وقال لها بابتسامة :

ـ أنا مساعد المنتج. لقد التقينا منذ أيام، هل تشعرين بالتوتر؟.

ـ أجل، وأتمنى لو أستطيع أن أراجع ما سأفعل.

ـ المراجعة قد تُفقدك العفوية في التصرُّف فيبدو الأمر للنُّظّارة مدبراً.

ـ مُدبَّراً؟. وماذا يعني هذا؟.

ـ يعني أنك اطّلعت على الأجوبة، على كلٍّ كلّما كنت متوترة كلما أعجب بك الجمهور الانكليزي.

وبسرعة بدأ البرنامج، وصعد المتبارون إلى المسرح واحداً بعد الآخر. وعلا التصفيق وطوال الوقت كان مقدم البرنامج، يجعل الأمر يبدو هيناً حتى أن ساندرا تخلّصت من كل مخاوفها، وقال لها أحدهم دافعاً بها إلى المسرح :

ـ أنت التالية.

وأجابت ساندرا على الأسئلة الأولى، بصوت ضعيف وكانت تضطر لتكرار أجوبتها إلى أن استردت ثقتها بنفسها في الأسئلة التالية. وابتسم لها مقدّم البرامج بعد أن أجابت على السؤال الخامس.

ـ أنت جيدة جداً، ولكن عليك الآن أن تدخلي غرفة صغيرة معزولة لتجيبي على آخر وأكثر الأسئلة صعوبة. هذا إذا كنت تريدين المتابعة. وكما تعرفين يمكنك أخذ المال الذي كسبتيه حتى الآن، وهو. . مبلغ مئة جنيه.

ـ أود أن أتابع.

ودخلت الغرفة الصغيرة المعزولة، ووضعت السمّاعات على أذنيها، واجهة الغرفة كانت من الزجاج، وتركّزت كاميرا تصوير على وجهها حتى أن كل حركة تقوم بها، كل خلجة عضل، كل رفة عين، يمكن أن يراها ملايين المشاهدين. فهل ستجيب ساندرا لاوسون على أصعب سؤال وتربح ألفي جنيه، أم أنها، مثل العديد من المشاركين، ستفشل عند آخر سؤال وتخسر كل شيء؟. وأغلقت عينيها وانتظرت.

ـ هل أنت جاهزة آنسة لاوسون؟. ها هو آخر سؤال وهو من ثلاثة أجزاء.

وسأل ساندرا وهو يعتني بلفظ الأسماء الأجنبية حتى لا يُخطىء، وأعطى ثلاثة تواريخ لحفلات «كونسرتو» موسيقية مختلفة. وبعد لحظات من الرعب، تذكّرت أنها قرأت كتاباً عن الحفلات الموسيقية وهكذا أجابت على الجزء الأول. الجزء الثاني من السؤال كان أكثر صعوبة. فقد طلب منها أن تدندن افتتاحيات عشرة أوبيرات مختلفة غير معروفة كثيراً. واستطاعت أن تفعل، وابتسم لها المقدّم.

ـ أنت الآن على المحك يا آنسة لاوسون. وأنت فتاة محظوظة لأن الجزء الثالث هو أسهل بكثير مما سبق. . أعطني اسم أغنيتين احتلتا المركز الأول والثاني هذا الشهر من «التوب تونتي»، العشرين الأول.

وفوجئت ساندرا بالسؤال وأخذت تفتش في ذاكرتها عن الأسماء. ولكن دون فائدة، فالموسيقى الكلاسيكية هي التي تهتم بها، وتجهل تماماً

www.elromancia.com

أية معلومات عن أي نوع آخر من الموسيقى. وقال لها المقدّم مشجعاً :

ـ هيا آنسة لاوسون. أول أغنيتين من العشرين الأوائل لهذا الشهر.

وهزت ساندرا رأسها بيأس، ورأت المقدم ينظر إليها مسروراً.

ـ ألا تعرفين؟.

فهزت رأسها ثانية ونزعت السماعات بيد مرتجفة وخرجت من الغرفة.

ـ ما هذا الحظ السيىء. لا بد أنك تعيشين في عالم خاص بك، حتى أنك لا تعرفين هاتين الأغنيتين.

وغنى مقطعاً من كل منهما وابتسمت سارة وقالت :

ـ لقد تذكرتها الآن.

ودندنت المقاطع الأخرى منها. وأشار مساعد المنتج بذراعيه من بعيد للمقدم أن أمامهم عدة دقائق وأمسك المقدم فجأة بكتفي ساندرا قائلاً :

ـ ما رأيك بغناء أحد هذه الألحان آنسة لاوسون فحسب معلوماتي أنك تدرسين لتُصبحي مُغنية .

وأشار إلى قائد الفرقة الموسيقية. قرأت ساندرا كلمات الأغنية وما أن بدأت الفرقة بالعزف حتى شرعت بالغناء، لكنها لاحظت أن إصغاء النُظّارة قد تحول إلى ضحك، فتوقفت محاولة ضبط دموعها.

ـ أنا آسف آنسة لاوسون، أنت تغنين الأغنية وكأنها قطعة من أوبرا، وصدقيني، المؤلف لم يقصد هذا أبداً.

هكذا انتهى الأمر ! ونظرت ساندرا إلى مقاعد النُظّارة، ومع أنها لم تعرف بينهم أحداً، إلاّ أن علمها بأن آلاف المشاهدين يرونها، ملأ نفسها بالمرارة وتحولت خيبة الأمل إلى غضب. ماذا يعرف كل هؤلاء عن الغناء؟. ماذا يعرفون عن سنوات من التدريب والجهود التي حوّلت هذا الصوت إلى جمال؟. كل ما يهتمون به هو التأوُّه وتمتمات بلهاء !. حسناً، إذا كان هذا ما يريدون فسوف تعطيهم إيّاه. فقالت بغضب :

ـ قل للفرقة أن تُعيد العزف !.

ـ لا يهم الآن. انسي الأمر، أنت فتاة طيبة.

ـ لا أريد أن أنسى. . لقد طلبت مني أن أغني الأغنية لك وسأفعل، قل للفرقة أن تُعيد العزف، أرجوك.

ونظر المقدّم إلى غرفة الإدارة ثم أشار إلى قائد الفرقة وعادت أنغام الأغنية من جديد، وغنّتها ساندرا. وهذه المرة كبتت قوة صوتها ونقاء لفظها، وأجبرت كل كلمة بأن تخرج غير واضحة وعالية النغمات، وهي تغني كانت تغمض عينيها وتتحرك، مذكّرة النظارة بكل مغني «البوب» الذين سمعت بهم. وأخذت تتلوّى وتتأوه، دافعة بنَفَسٍ عاطفي في الكلمات التي كانت تملأ أرجاء البلاد في الشهر السابق.

وأخيراً توقّفت الأغنية، ونظرت إلى الجمهور متحدية، وسادت لحظة من الذهول الصامت ثم انفجر التصفيق من حولها، تصفيق وتهليل استمر على الرغم من رفع المقدم يديه إيذاناً بانتهاء الوقت، وصرخ من فوق الأصوات.

ـ أعدكم بأن تغني الآنسة لاوسون مرة أخرى.

وأدركت ساندرا أن الوقت قد انتهى، فنزلت عن المسرح. وما أن وصلت إلى الجناح الجانبي منه حتى تهالكت على أقرب مقعد. مودّعة ظهورها على مسرح التلفزيون !.

يد غطت يدها، فأجفلت وإذا به براد أدامس.

ـ أنا آسف لخسارتك. ولكن قد يكون هذا أفضل ما حصل لك.

ونظرت إليه بحزن، فرفعها لتقف قائلاً :

ـ تعالي لنتناول العشاء معاً. أريد التحدُّث إليك.

وكانت الدعوة غير متوقّعة حتى أنها حدّقت إليه متسائلة عن سر تعابير وجهه الحادة وسألته :

ـ عن أي شيء تريد أن تحدّثني؟.

ـ عن صوتك، ضعي نفسك بين يديّ يا ساندرا لاوسون، وسأجعل منك أكبر مغنية للبوب في هذا العصر

٣ ـ تغنين كالغراب

لاحظت ساندرا وهي تتذكر أول عشاء لها مع براد أنه استخدم كل السحر الإيرلندي الذي يملكه كي يقنعها بما يريد، وهذا ما حصل !.

لقد تعشيا في مطعم فخم في باركلين، وفتح الموضوع معها وهما يحتسيان القهوة.

ـ لقد عنيت كل كلمة قلتها، وبالتدريب المناسب سوف تكونين في قمة من غنّى البوب.

ـ بالتدريب كنت آمل بالوصول إلى القمة في نوع أكثر أهمية.

ـ ليس هناك من خطأ في أن تكوني مغنية البوب.

ـ أنا آسفة. ولكنني لم أتخيل نفسي قط مغنية لهذا النوع.

ـ صدقيني سوف تنجحين فلديك شخصية قوية وصوت رائع، وبقليل من الإعداد سوف تصبحين في القمة.

ـ أي نوع من الإعداد؟.

ـ تقنيات الميكروفون، الوقفة، الحضور المسرحي، ليس لديك أي منها يا ساندرا ومع ذلك ملكت الليلة ألباب المشاهدين. سأعلّمك كل ما أستطيع، لتتمكّني بذلك من الربح.

كلماته، فتحت أمامها عالماً جديداً. لكنه سيكون نهاية لحلمها بأن تكون مغنية أوبرا. ! فهي لا تملك المال لتتابع تدريبها على أغنيات الأوبرا. . .

أمسك براد بيدها قائلاً :

ـ كيف ستكسبين رزقك إذا لم تقبلي اقتراحي؟. هل تعتقدين أن بإمكانك العمل في محل أو مكتب؟. وماذا ستخسرين لو استمعت إلي؟. وإذا لم يعجبك الأمر بعد بضعة أشهر يمكنك أن تتوقفي.

ـ ولكن كل هذا التدريب الذي تتحدث عنه. ألن يكلّف الكثير؟.

ـ لا تعبأي بالتكاليف. . هذا شأني أنا.

ـ لا أستطيع القبول. سأشعر وكأنني ملزمة.

ـ لا حاجة بك لهذا الشعور، فأنا لا أفعل هذا بدافع الحب. بل فقط بدافع العمل. وسنحدد الخطوات العملية !. وأصبح مدير أعمالك بنفس النسبة المئوية لأي مدير أعمال. كل ما أطلبه هو أن تطيعيني بالكامل.

ـ هذا أمر كبير جداً. وأنا لست واثقة بأنني.

ـ أقصد هذا على المستوى العملي فقط. وحياتك الخاصة ملك لك.

وفي الشهر التالي تذكرت ساندرا كلامه بسخرية، فالبرنامج الذي وضعه لها لم يدع لها أية حياة خاصة !. كل ساعة من اليوم كانت محسوبة ما عدا يوم الأحد حيث ترتاح، في اللحظة التي وافقت بها على أن يكون مدير أعمالها، أخذها إلى رجل مُسن يُدعى رايان دويزي، يعيش في حي فقير في الناحية الأخرى من النهر.

ـ رايان يعرف الكثير عن أعمال غناء البوب. . فلديه المقدرة على انتقاء الأغنية التي ستضرب القمة تماماً كما أن لديه المقدرة على اختيار المغني المناسب.

ـ إذا كان ناجحاً هكذا فلماذا يعيش في مكان كهذا؟.

فركت ساندرا أنفها لرائحة القاذورات وماء الغسيل التي كانت تعبق في الجو. وقبل أن يرد عليها براد فتح الباب ورأت أمامها رايان دويزي. وعرفت الرد بنفسها. . إنه الشرب، وتراجع أمامهما وهو يقول :

ـ أهلاً بكما في منزلي المتواضع.

وتبعت ساندرا الرجلين إلى غرفة جلوس صغيرة يحتل بيانو معظم مساحتها. كل شيء في الشقة كان مغبراً ما عدا البيانو. الذي كان يشع وتنبعث منه رائحة شمع التلميع، وأصابعه العاجية نظيفة دون أي لطخة عليها. وجلس رايان دويزي واستدار لينظر إليها.

ـ إذاً، هذه هي الفتاة التي أخبرتني عنها؟. حسناً. . هيا يا عزيزتي اسمعيني صوتك.

ولمست أصابعه المفاتيح وصدحت الموسيقى، وكانت الأغنية التي

غنتها على التلفزيون، واستطاعت أن تلحق بموسيقاه، متوترة بادىء الأمر ثم بثقة متزايدة.

وعندما انتهت لم يكن هناك شك في حماسته، فقد نظر إلى براد رافعاً إبهامه، وقال :

ـ لديك رابحة، صحيح أنها ستحتاج إلى عمل كثير، ولكنها ستنجح لو كانت ترغب بذلك.

ونظر إلى ساندرا مباشرة :

ـ لديك شيء لا يملكه معظم المغنين في هذه الأيام. . الصوت !.

ورفع كأسه قائلاً : نخب نجمة جديدة. . على أمل أن تشع دوماً !.

في الأسابيع التي تلت، بدا لساندرا بأنه يفعل ما بوسعه لتدمير صوتها. ولكن بعد أن تعرّفت لأسلوبه، أدركت أن ما يطالب به المغني للأغنيات الشعبية مختلف تماماً عما هو مطلوب في الأوبرا. فصفاء الصوت ومداه لم يكونا مهمين أمام الأسلوب والنغم، مع أن الأسلوب كان يبدو أهم من أي شيء آخر. وأمضى رايان ساعات وهو يعلمها كيفية أداء طريقة معينة، شارحاً لها بصبر لماذا يجب أن تمطّ في كلمة محدّدة ولا تمط في أخرى.

ـ كلما كان للمغنية موهبة كلما استطاعت أن تجعل الأغنية تبدو مختلفة عن الطريقة التي ألفت بها أصلاً !

ـ وهذا مخالف تماماً لما علمني إياه البروفسور فالميرو.

ـ ولهذا فإن مهمتي صعبة، فعليّ أن أخرّب كل ما فعله !

ولم تجبه ساندرا فعاد إلى البيانو، وتلاعبت أصابعه بالمفاتيح، وملأ الغرفة لحن ناعم. فاستمعت إليه بسعادة وهو يعزف، لاحظت أنه انتقل إلى عالم آخر لم تستطع الدخول إليه. وملأت الدموع عينيها، فتقدّمت نحوه ووضعت يدها على كتفه.

ـ هذا اللحن لك، أليس كذلك؟. هل له كلمات؟.

ـ لا. . .

ـ لو تكتب له كلمات فسوف أجعله الأغنية الخاصّة بي.

ـ ربما سأفعل، ولكن لا تعتمدي على وعدي لك، هيا يا عصفوري الصغير المغرّد !. لقد ارتحت ما فيه الكفاية.

وجلست ساندرا في مكانها المعتاد في وسط الغرفة وبدأت تغني، متسائلة في سرها عمّا إذا كان بمقدورها أن تحقّق ما تنبّأ به براد أدامس.

ولشهرين، لم تشاهد رجلاً سوى رايان. وبدأت تعتقد بأن الأمر كله مجرّد حلم، عندما صعدت السُّلّم إلى شقته ووجدت براد أدامس واقفاً هناك ينتظرها.

ـ هاي. . لقد قال رايان إنك جاهزة. لذا أتيت لأسمعك بنفسي.

ـ جاهزة؟. ولماذا قال لي بالأمس إنني أغني كالغراب؟.

ـ لا بد أنه قصد العندليب الليلي. لقد أقسم لي بأنك أصبحت ممتازة.

ودخلت قبله إلى الشقة وهي مُرتابة ونظرت إلى رايان الذي كان يمثّل البراءة، وقالت بهدوء :

ـ قل لي. . هل أغني مثل الغراب أم مثل العندليب؟.

ـ هذا يتوقف على مزاجك. . بالأمس كنت كالغراب. . أما اليوم فأنا آمل أن تكوني كالعندليب.

فقاطعهما براد :

ـ عندما تنتهيان من تمثيليتكما الكوميدية، أود أن أسمع بعض الموسيقى.

وجلس رايان في مكانه أمام البيانو، وأحس بتوتر ساندرا فمنحها إحدى ابتساماته النادرة.

انبعثت الأنغام من البيانو، ورافقتها ساندرا بالغناء وتنوّعت الأغنيات وصولاً إلى آخر صيحة ناجحة في عالم الديسكو، وجلس براد صامتاً يستمع في مقعده، عيناه مغمضتان، يداه ممسكتان بركبتيه، ولم يرفع رأسه ويتكلم إلاّ بعد أن توقفت الألحان، وقال وقد غلبت عليه اللّكنة الإيرلندية أكثر من أية مرة سمعتها ساندرا :

ـ هناك لمحة من صوت باربرا ستريسند في صوتك، ولمسة من شيلا

www.elromancia.com

بلاك أيضاً ولكن فوق كل شيء، هناك نوعية لا يمكن إلاّ أن تُسمّى.

وتوقف باحثاً عن الكلمة المناسبة فسارع رايان للقول بهدوء :

ـ نوعية لا يمكن إلاّ أن تُسمّى «ساندرا لاوسون».

ـ أجل. . .

ووقف براد وأخذها بين ذراعيه :

ـ لقد كنت أعرف هذا منذ أن سمعتك. والآن أنت جاهزة لأبدأ عملي معك !.

واستدار نحو رايان :

ـ هذا أفضل عمل قمت به في حياتك.

ـ لم أفعل شيئاً، نحن نستطيع أن نصقل المادة ونحسّنها ولكن إذا لم يكن أمامنا مادة لنعمل عليها لا نستطيع تحقيق شيء .

وأدركت ساندرا عندها أهمية ما كان يعلمها إياه.

بعد ظهر أحد الأيام وقفت أمام المرآة تتساءل بشيء من التوتر قبل أن تتمرّن على المسرح، هل أستطيع يا تُرى أن أنجح في هذا الطريق؟. لكم كان شعورها مختلفاً لو استطاعت أن تُصبح مغنية أوبرا !

كان براد قد أمر بأن يتم تمرين كامل، وتركزت الأنوار عليها من كل جوانب المسرح، وتقدّمت كاميرا منها عندما أخذت ساندرا موقعها على المسرح. وأشار براد بيده فتدلّى ميكروفون من الأعلى فوق رأسها بقليل، وأدار أحدهم ماكينة التسجيل وصدحت الموسيقى وبدأت الغناء. . .

وبعد ساعة أشار إليها براد بالتوقّف. . وقال :

ـ أنت في أفضل حالاتك يا ساندرا، سوف نستمع إليك غداً في دائرة مغلقة أود أن يراك مدير المنوعات الغنائية.

ـ وما هي الدائرة المُغلقة؟.

ـ هذا يعني أنك قريباً ستظهرين على الشاشة، مما سيعطينا فكرة عن كيفية ظهور صورتك المتلفزة، وتكون فرصة لدائرة الماكياج كي تدرس مظهرك.

ـ أتمنى لو أرى نفسي على الشاشة، أنا واثقة بأنني سأتعلّم الكثير

برؤية أخطائي.

ـ سأسجّل لك العرض. لتتمكني من مشاهدته ثانية، هيا بنا إلى المطعم لتتناول القهوة، وتوقفي عن الحديث في الأعمال !.

ـ ما هذه المفارقة؟. أنت مَنْ يتكلم دوماً عن العمل !.

وكان المطعم في الطابق الثالث وله ديكور مبهج، وما أن جلسا حتى أخبرها براد قائلاً :

ـ «أ. س» يؤمن بأن الأفضل هو ما يناسب موظفيه. اللعنة يا ساندرا إنه يعرف كل أسماء المنفذين الأول في هذه الشركة.

ـ هل هو اهتمام خاص منه أم لأجل المصلحة؟.

ـ كنت أتساءل عن هذا بنفسي دائماً. وبما أنني عياب بطبيعتي، فقد توصلت لاستنتاج بأن اهتمامه هو لأجل المصلحة، كي يحصل على الأفضل منهم طالما أنه مهتم بهم.

ـ وهذا ما تعتقد به أنت أيضاً، أليس كذلك؟. فأنت لا تهتم لشيء أو لأحد، وتنظر إلى الحياة على أنها مزحة، والناس فيها مهرجون.

ـ كلنا مهرجون يا عزيزتي وباللحظة التي ننسى هذا ونبدأ التفكير بالحياة بجدية، نسقط بعنف.

واحتست قهوتها، وهي تنظر إليه، إنه يقول الحق، وما عليها إلاّ أن تنجح.

ـ لماذا تبذل هذا الجهد معي؟. فلدى «ش. ت. م» العديد من المغنين وما من حاجة إلى مغنية جديدة.

ـ أنا لا أحضّرك لأجل «ش. ت. م» فقط بل سترتبطين معي بعقد وسوف أخطط لك مستقبلك.

ـ ولكن لماذا؟. هل تظن بأنك ستحقق النجاح بي؟. لا أظن أبداً أنك تهتم بالمال !.

ـ ليس المال، بل السلطة، كل حياتي وأنا أسعى وراء السلطة، ولكني لسوء الحظ وُلِدْتُ في عائلة فقيرة وفي فمي ملعقة من «النيكل» بدلاً من ملعقة الفضة !.

- لست بحاجة للمال للوصول إلى القمة. انظر إلى «أ. س» مثلاً. لقد قلت إنه ابتدأ وليس معه قرش واحد.

- أوليفر رجل استثنائي، لقد وصل إلى القمة بتفكيره الخاص وتصميمه. على كل السلطة التي يتمتع بها أوليفر لا تهمني. فلست أريد بناء إمبراطورية، أريد أن أبني الناس !. أريد أن آخذ قطعة من المواهب وأصقلها إلى أن تلمع كالألماس.

- ولكن أي إنسان يملك مثل هذه الموهبة سيصل إلى القمة دون مساعدتك.

- أنت مُخطئة تماماً !. هل تظنين أنك ستنجحين من دون مساعدتي؟.

- لم أكن أشير إلى نفسي. ولا أعتقد أن لي موهبة قط.

- إذاً لا بد أنك عمياء فليس كل إنسان موهوب يستطيع الوصول إلى القمة لوحده فالموهبة والطموح قد لا يجتمعان، دليني على موهوبين وسوف أوفّر لهم الطموح !.

- لا أستطيع تخيُّلك تعمل كمنتج لحفلات فنية.

- لعلّني أكثر نفعاً لو كنت بطل قصة «لديكنز» فقد قُتِلَ والداي عندما كنت في الثامنة ورباني خالي وزوجته، والدا جينا.

- جينا؟.

- جينا ساندرز زوجة «أ. س».

- لم أكن أعلم أنكما قريبين.

- نحن كأخ وأخته، مع أن خالي لم ينظر إليّ كابن له إلاّ بعد فوات الأوان. والدا جينا لم يكونا ثريين، لكنهما استعاضا عن المال بالكبرياء. ولا يخدعنّك أبداً تظاهر الإيرلندي بأنه ليس متعجرفاً، فارستقراطيو إيرلندا أكثر الناس تعجرفاً، والدي كان عازف بيانو في فرقة موسيقية، وعندما تزوجته أمي طُردَت من عائلتها. وعندما ماتا، أخذني خالي ليربيني، ولكنه لم يكن يدع فرصة إلاّ وذكّرني فيها بأن والدي لم يكن من طبقته، مما جعلني أشعر بالخجل من الرجل الذي أحببته في صغري.

لكن خالي أدرك متأخراً أنه لن ينجب ابناً وكنت قد بلغت الرابعة عشرة فحاول عبثاً أن يكون أباً لي، إذ لا يمكن حرمان طفل من الحب وهو بحاجة إليه ثم إغداقه عليه في وقت لا يكون بحاجة إليه.

- وهل ابنة خالك لطيفة معك؟.

- جينا كانت لطيفة دوماً. لقد كانت طفلة عندما عشت معهم، بحيث لم تكن قادرة على فهم البؤس الذي عشته مع أسرتها وما أن كبرت حتى أصبحت في المنزل بمثابة الوريث. وريث لا شيء، لأننا كنا فقراء أكثر من فئران الكنيسة !.

- وكيف التقت السيدة ساندرز زوجها؟.

- لقد أتى إلى إيرلندا في عطلة ووقع في حبها من النظرة الأولى، يا إلهي كم أفرحنا زواجها به فللمرة الأولى امتلأ مخزن الأطعمة لدينا !.

- وحصلت على الوظيفة هنا.

- آسف يا عزيزتي، أنا لم أستخدم قرابتي منه لتحسين أوضاعي. فقد بقيت في إيرلندا لسنين ولم آت إلى هنا إلاّ بعد أن حصل ذلك الحادث لجينا.

وقطع حديثهما صوت أخيها يقول :

- أرجو أن لا أقاطعكما، ولكن يجب أن أتكلم مع براد حول البرنامج الذي أعمل فيه.

وعلمت ساندرا أن ليس أمامها فرصة لمتابعة الحديث، فقررت أن تُنهي يوم عملها وتذهب إلى البيت. وفي طريقها إلى المنزل أخذت تفكّر ببراد وتخيلته صبياً صغيراً غير محبوب، ولا أحد يرغب به. ولا عجب إذاً أن تكون له هذه الرغبة القوية في إثبات نفسه، وليبرز للعالم بأنه جدير بمركزه. رجال آخرون، مثل أوليفر ساندرز مثلاً، يجدون رضاهم في المراكز والسلطة والمال. ولكن براد يجدها فقط في السلطة على الناس. وفكرت، مسكين براد. . يجب عليه أن يحب. . فهذا ما سيعطيه القوة التي يحتاجها !.

٤ ـ غيرة جينا

كان قد حصل شيء من المودة بين براد وساندرا إثر اللقاءات المتتالية بينهما، ودفعها الفضول مرة أن تسأل شقيقها عما إذا كان يعرف شيئاً عن حادثة جينا ساندرز، فأجابها بالنفي وأضاف :

ـ كل ما أستطيع قوله انها مسيطرة كثيراً، و«أ. س» وبراد متعلقان بها، والواقع أن براد لم يكن لديه وقت لأية امرأة أخرى.

ـ وهو لا وقت لديه حتى الآن.

ـ لا تحاولي خداعي، إن براد مهتم بك بشكل واضح للجميع. وقد كنت أراقبكما خلال التمرينات في الأستوديو.

ـ أنت مجنون !. إنه ينظر إليّ نظرته إلى منجم ذهب.

وتنهدت ساندرا تنهيدة ساخرة ثم قالت لبراد أثناء التدريب على المسرح.

ـ لا تقل لي بأنك ترغب في متابعة التمرين !.

ـ أريدك أن تعيدي أداء آخر أغنية، فليس الصوت هو ما يقلقني بل طريقة تحركك عل المسرح، هناك بعض التوتُّر.

ـ سيزول هذا مع التمرين أمام النُّظَّارة.

ـ ربما، ولكنني أتخوف من وقوفك أمام النُّظَّارة قبل أن تشعري تماماً بشخصيتك الجديدة. . هيا ابدأي الغناء ولكن تحركي فوق المسرح ببطء ولا تُعيري اهتماماً للنُّظَّارة.

وصاح فجأة :

ـ لا. . لا. . !. لا تقفي جامدة هكذا !. أنت تغنين أغنية حب. وحبيبك هجرك وأنت وحيدة. ألا يمكنك أن تحسّي بحزن الموقف؟.

حدّقت إلى وجهه. . فقال بصوت خفيض :

ـ أعتقد أنك لا تشعرين به. . ألم تقعي في الحب أبداً يا ساندرا؟.

وهزّت رأسها بالنفي فقال وقد ضم قبضتيه :

ـ إذاً، لا عجب في أنك لا تستطيعين إظهار المشاعر في أغنيتك، فكيف لك أن تعرفي بؤس الحب الضائع إذا كنتِ لم تحبي أصلاً؟.

ـ لا تصف لي أي علاقة حب تعيسة، فهذا ما لن أستطيع تحمُّله !.

ـ لا أتصورك أبداً تعيشين قصة حب تعيسة. فما من رجل محظوظ ينال حبك ويكون غبياً فيُعْرِضُ عنك.

وأحست باحمرار وجهها فحاولت الابتعاد عنه، هنا ترك براد كتفيها وقال لها :

ـ تبدين رائعة تماماً. تعالي يا عزيزتي. سنتعشى معاً. . إلاّ إذا كنت مشغولة !.

ـ ولكنك أنت المشغول.

تهادى إلى أسماعهما صوتٌ ناعم فنظرا معاً عبر الاستديو ليريا جينا ساندرز تتجه نحوهما. . وتابعت كلامها بعد أن وصلت إليهما :

ـ أنت تعلم أن أوليفر قد ذهب إلى عشاء المهاجرين، ولقد وعدتني بأن تتعشى معي الليلة.

ـ لم أعلم بأن الموعد قد حل. . ألا نستطيع إلغاؤه؟.

ـ بعد أن حضَّر طباخي لك الطعام الإيرلندي !؟.

ونظرت جينا إلى ساندرا :

ـ آمل أن تسامحيني لأخذ براد منك.

ـ بالطبع.

وحيتهما مودعة، وخرجت، وما أن وصلت إلى منتصف الطريق في الممر حتى ناداها براد :

ـ لست غاضبة مني أليس كذلك يا ساندرا.

ـ ولماذا أغضب؟. فنحن لم نقرِّر الموعد نهائياً.

ـ لقد كان غباءً مني أن أنسى موعدي مع جينا، لو أنني لم أجبرك على آخر تمرين، لكنا خرجنا من الاستديو قبل وصولها.

ـ براد !.

ـ آسف يا عزيزتي، ولكنني كنت أتوق لقضاء أمسية معك.

ـ في مناسبة أخرى. .

وسارت نحو المصعد، وتذكّرت ما قاله بيري عن علاقة براد بابنة خاله. . ودفعت التفكير بهما من ذهنها. . فهي مرتبطة به فقط فيما يتعلّق بالعمل. وسيسبب لها مشاكل وصعوبات فيما لو تورطت معه بطريقة أخرى. ومع أن مشاعرها تجاه براد كانت في حالة تقلّب، إلاّ أنها لم تستطع تحليلها. إنه واحد من أكثر الرجال الذين قابلتهم جاذبية، ومع ذلك فنبضاتها لم تكن تتسارع عندما تراه، وأخذت تنتظر أن يُنهي استعدادات البدء في التمارين.

في اليوم التالي لم تلاحظ بأنها تنهّدت إلا بعد أن سألها شخص من ورائها عمّا بها؟. وقالت الفتاة :

ـ لم أقصد أن أزعجك ولكنها كانت تنهيدة عميقة.

ـ إنها من السأم. ومن الجلوس على كرسي مزعج !.

ـ أنا لا أسأم أبداً من مشاهدة التلفزيون، هل أنت ساندرا لاوسون؟.

ـ وكيف عرفتني؟.

ـ الجميع يعرف بأمر محمية السيد أدامس !. وأنا شاهدتك عدة مرات خلال التمارين. أنا مارلين تروتل، أعمل لـ «أ. س».

ـ هل أنت سكرتيرته؟.

ـ ليس تماماً. أنا سكرتيرة سكرتيرته، لديّ ساعة فراغ وفكّرت أن أتسلّى فنزلت إلى هنا. طموحي أن أصبح منتجة.

ـ أنت في مركز جيد لإيصال ما تطمحين به إلى أذن الرئيس.

ـ لا أستطيع تصوّر نفسي وأنا أهمس في أذن «أ. س».

ـ لا بد أنه سيستدير ويعضك.

ـ لا. . لن يفعل إذا اعتقد أن لديّ موهبة، إنه يحب تشجيع الناس، ويقول دائماً إنه لم يكن ليصل إلى ما هو عليه لو لم يمنحه أحدهم فرصة منذ سنوات عديدة.

ودهشت ساندرا لدفاع الفتاة القلبي عن أوليفر ساندرز، لأنها لم تكن

تعتبره ذلك الشخص الذي يستحق الولاء. وعلا صوت يقول :

ـ هدوء من فضلكم !.

وجلست الفتاتان بصمت تراقبان ما يجري. المسلسل الاستعراضي سيبث على الهواء للمرة الأولى ذلك المساء. والتوتر كان شديداً في الاستديو، وإذا نجح الاستعراض فمن المقرّر أن يستمر لستة أشهر أما إذا فشل فإنه سينتهي لا محالة وصاح براد عالياً :

ـ حسناً يا شباب، سوف نتوقف لشرب الشاي، ثم نبدأ الاستعراض مرة ثانية.

وتفرّق المشاركون وتقدّم من ساندرا :

ـ ليس لدي وقت للعمل معك اليوم، الأفضل أن تعودي إلى منزلك. إلاّ إذا أحببت أن تجلسي معي في غرفة المراقبة.

فهزت رأسها بالنفي فتركها براد وذهب. التفتت ساندرا إلى الفتاة الجالسة بقربها وقالت :

ـ هل ترغبين بفنجان قهوة؟.

ـ ليس لديّ وقت، لديّ عمل الآن.

وخرجتا معاً من الأستوديو، وافترقتا عند المدخل، وما أن خطت ساندرا نحو الباب حتى اصطدمت بأحدهم وشعرت بقدم الرجل تحت قدمها فسارعت للاعتذار وهي تلتفت :

ـ آسفة جداً.

ومات الاعتذار على شفتيها بعد أن تعرفت على أوليفر ساندرز.

ـ ألست الآنسة لاوسون؟. لقد كنت أنوي التحدّث معك منذ مدة. لقد شاهدتك تتمرنين مع براد منذ بضعة أيام.

ـ ولكنني لم. . أركَ !. .

ـ كنت في غرفة المراقبة. أنا أتجوّل دائماً في الأستديو عندما يكون لديّ وقت. إذ أنني أحب أن أعرف ماذا يجري هناك.

ـ أنا واثقة بأنك تعرف.

ـ هل لديك عمل الآن؟.

www.elromancia.com

ـ كنت ذاهبة إلى المنزل.

ـ تعالي لتتناول القهوة معاً أولاً. . لا أريد التحدُّث معك هنا.

ودون انتظار موافقتها سار بها نحو سيارته !. بينما كانت الرولز تشق طريقها أخذت ساندرا تحدِّق من النافذة وهي تشعر بالخجل. لم يكن لديها فكرة عمَّا ستقوله لهذا الغريب الرائع الجالس إلى جانبها، ولكنه لم يحاول أن يتحدَّث إليها، ولا بد أنه أخبر السائق عن وجهة سيره وبعد عدة دقائق كانا يجلسان في زاوية هادئة من نادي «لندن» يحتسيان القهوة. قال وهو يتناول سيكارة من علبة بلاتين.

ـ أشعر دائماً بالراحة هنا.

رفضت ساندرا أخذ سيكارة فأشعل واحدة له.

ـ أنت حكيمة جداً لامتناعك عن التدخين. إنها عادة سخيفة، وخاصة لك كمغنية إنك ناجحة جداً، أتعرفين هذا؟.

ـ شكراً لك.

ارتشفت قهوتها باضطراب في حين تابع كلامه :

ـ ولكن أمامك الكثير بعد لتتعلميه. فلا زلت تتوترين أمام الميكروفون؟.

ـ أتمنى أن لا تقترح عليّ أن أتلوى وأقفز كالمراهقات؟.

أوليفر ساندرز له كل الحق أن ينتقدها. فمع أن براد هو من يدربها إلاَّ أنه موظف في «ش. ت. م» وهو يتطلع لإيصالها إلى القمة. إلاَّ أنها وبدون «ش. ت. م» ليس لديها أي أمل بتحقيق النجاح !. تسمَّر نظرها على الطاولة أمامها وعندما طال الصمت رفعت رأسها، ولدهشتها كان أوليفر ساندرز يبتسم.

ـ مهما كان ينقصك من لباقة على المسرح فأنت تعوضين عنها بروحك المعنوية آنسة لاوسون. وفي هذه المهنة هناك الكثير لتتعلمي. أنا أعلم أنك كنت تدرسين الأوبرا، ولكن هذا يختلف عن مهنتك الحالية.

ـ لم أكن أرغب أبداً بهذا النوع.

ـ لقد اتخذت قرارك عندما عرضت العون على شقيقك. وأيُّ ندم

الآن لن ينفع، أنت تخافين من الفشل، وهذا أمر مفهوم بالطبع. فالميدان الذي تحاولين خوضه هو ميدان تنافسي، وإذا استطعت التماسُك فقد تصلين إلى مركز ما !. فأنت على المسرح تبدين وكأنك مُرشدة كشافة.

ومال إلى الأمام بعد أن رأى التعبير على وجهها :

ـ لا تعتقدي أنني أنتقد لمجرَّد الانتقاد. أنا أعرف أنه لا يُسرّ أحد بسماع الحقائق، والناس قد تكره مَنْ يكشف هذه الحقائق عادة.

ـ إذاً هناك أناسٌ كثيرون يكرهونك سيد ساندرز !.

فضحك وقال :

ـ لا يهمك ما تقولينه، أليس كذلك؟.

ـ أنا آسفة. . ولكنني لا أفهم لماذا يكون للصراحة طريق واحد. فقد تكون رئيس «ش. ت. م» ولكن. .

ـ لأجل الله لا تعتذري !. فصراحتك هي أقوى جاذب فيك.

وأطفأ سيجارته وأشعل أخرى ثم تابع :

ـ شقيقك يعمل جيداً في وظيفته الجديدة. أتنبأ له بمستقبل منتج.

ـ عاجزة أنا عن شكرك لمنحك إيَّاه فرصة أخرى.

ـ لم أفعل هذا من أجله، بل من أجلي أنا.

ودفع كرسيه إلى الخلف وهبّ واقفاً :

ـ لا أريد أن أستعجلك، ولكن لديّ موعد آخر.

تلك الليلة وهي ترقد في الفراش، أخذت تفكر بما قاله أوليفر ساندرز عن عملها، وكان عليها الاعتراف بأنه محق، فهي لا تشعر بالراحة أمام الميكروفون، وبراد كان يشجعها دائماً لتكون مرتاحة.

عندما ذهبت إلى مكتب براد في اليوم التالي علمت أن أوليفر ساندرز قد أخبره عن لقائهما. لأنه ذكر الأمر لحظة دخولها :

ـ لقد قلت له بأنني سأعطيك دوراً في برنامجنا الشهري ولكنه نصحني أن لا أفعل، ونصيحته تعني أمراً !.

ودون أن ترد، سارت نحو النافذة ونظرت إلى الشارع من علو خمس طبقات، كم تبدو السيارات صغيرة، وهي تسير في الطريق والناس كأنها

حبات الرمل التي لا تُعَد .

إن المسافة تمنح المرء نوعية خاصة من الانعزال، وتساءلت ساندرا عما إذا كان أوليفر ساندرز ينعزل عن الآخرين متعمداً ليتمكن من الحكم على الناس بدون مؤثرات عاطفية وسألها براد :

ـ بماذا تفكرين؟.

ـ أفكّر بكلام السيد ساندرز يوم أمس لقد قال إنني أذكّره بمرشدة الكشّافة.

فضحك براد وقال :

ـ هذا ليس وصفاً سيئاً.

ومالت ساندرا على حافة المكتب ونظرت إلى براد بفضول وهي تفكر كم هو مختلف عن الرجل المتزوج من ابنة خاله. ولمعت فكرة في رأسها فعادت تنظر عبر النافذة بقلق، وأخذت تنقر الزجاج بأظافرها.

ـ هيا يا عزيزتي، ثمة شيء في ذهنك، والأفضل أن تقوليه.

ـ وهل أفكاري شفافة إلى هذه الدرجة؟.

ـ كل امرأة تكون شفافة أمام الرجل.

ووقف، اضطرب الجو بينهما فتكلمت ساندرا بنعومة، محاولة تلطيف الجو :

ـ هل يمكن أن يكون انتقاد السيد ساندرز لي مردُّه إلى شيء قالته له السيدة ساندرز؟. فأنا متأكّدة تماماً أن ابنة خالك لا تحبني أبداً.

وبدت الدهشة الحقيقية على براد حتى أن ساندرا عرفت الرد على سؤالها قبل أن يُجيب :

ـ لأجل السماء يا ساندرا، وهل تعتقدين أن بإمكان أي إنسان التأثير على «أ. س». . أتظنين ذلك؟. على كُلٍّ أنت تبالغين في غيرة جينا منك، ليس هناك شيئاً شخصي، إنها فقط تغار من أي إنسان يأخذ مني وقتي.

ـ ولكن لماذا؟. أعني. . أن الأمر ليس طبيعياً!.

ـ هناك الكثير من الأشياء حول جينا ليست طبيعية. فهي ليست

سعيدة، وأوليفر شيطان لا يمكن العيش معه. . . ولكن دعينا من الكلام عن ابنة خالي وزوجها، ولنتكلّم عنك.

ـ دائماً نتكلم عني أنا. . ألا يمكن أن نجد موضوعاً أكثر تسلية؟.

ـ وما هو أهم من الحديث عن امرأة جميلة موهوبة؟.

ـ لا أصدق هذا الكذب!. دعني أثبت ذلك لنفسي أولاً.

ـ سوف تفعلين.

وأمسك بيدها وقادها إلى الاستديو. كان التمرين عاصفاً، حيث أوقفها مراراً طالباً منها إعادة الأغنية من جديد، واستمر بالصراخ :

ـ استرخي!. لا تبقي يديك جامدتين على جانبك. . اتركي رجليك متباعدتين قليلاً. . حركي ذراعيك!.

واستمر هكذا إلى أن شعرت ساندرا تدريجياً بالتوتر، ومع ذلك، وفجأة، ودون أن تعرف لماذا، فقدت كل شعور بالحرج والتوتر، وأكملت الأغنية دون أية مقاطعة، وعندما وصلت إلى النهاية، صاح براد صيحة انتصار :

ـ هذا رائع!. رائع!. ماذا حدث لك يا ساندرا؟. .

ـ لست أدري!.

ـ حسناً لنأمل بأن يستمر هذا الأداء الرائع.

وتقدّم نحوها وعانقها، وكانت هذا أول لمسة حميمة بينهما فاحمرت وجنتاها.

ـ براد لا تفعل هذا!.

ـ آسف يا حبيبتي. . لقد غَلَبَت عليّ مشاعري.

وتجنّبت النظر إليه مباشرة، وقالت :

ـ هل أستطيع الذهاب الآن.

ـ يكفي تمريناً اليوم. . لنتناول العشاء معاً الليلة.

ـ لقد وعدت أمي أن أصطحبها إلى السينما.

ـ ألا يُمكن أن يتم هذا غداً.

وأحسّت أنه قد يتألم من رفضها، فوعدته أن تلاقيه عند

الثامنة. . والأمسية التي امضتها معه كانت الأولى التي لم يتحدثا فيها عن العمل، فقد تحدثا عن كل شيء ما عدا التلفزيون. ووجدت ساندرا نفسها مرتاحة تماماً وتتمتع بسهرتها مع رفيق مرح أبقاها ضاحكة طوال السهرة بظرفه وكياسته.

بعد منتصف الليل أوصلها إلى منزلها، وانتظر إلى أن وضعت المفتاح في القفل، وحين استدارت لتودعه أدهشتها النظرة التي كانت تغمر وجهه والتي لم يسبق لها أن شاهدتها من قبل، مما أشعرها بالانتصار. إذاً فهو مهتم بها!. جينا ساندرز قد تستطيع أن تستحوذ على اهتمامه، ولكنها لا تستطيع أن تستحوذ على عواطفه. وسارعت لإلقاء تحية المساء عليه، ثم أغلقت الباب. اسمه لم يرتبط بأية امرأة منذ أن عمل في «ش. ت. م» وهذا ما عرفته من بيري. ربما لأنه متفرّغ لعمله فقط، حتى أن قراره بتدريبها كان جزءاً من هذه الخطة. ومع ذلك فليس هناك من رجل مهما كان طموحه، لا يتمتع أحياناً بصحبة امرأة، وبراد لم يُصاحب امرأة قط إلى أن برزت هي في حياته.

استرخت ساندرا في فراشها وهي تفكّر: «لا عجب بأن تكرهني السيدة ساندرز، فمن الواضح أنها لا تستطيع السيطرة على زوجها، وهكذا تخلص حقها من ابن عمتها» وبرز وجه أوليفر ساندرز في ذهنها. . لا، إنه بالتأكيد رجل لا يمكن أن يُقال له ماذا يفعل قد يُجبر. . ربما. . ولكن أن يؤمر. . أبداً! ولم تفلح ساندرا في تصوّر السيدة ساندرز بالرغم من جمالها الرائع وتصرفاتها المتعجرفة، تُحسن السيطرة على زوجها، لذا فهي تعوّض عن ذلك بالسيطرة على براد. وغاصت ساندرا تحت الأغطية، وتذكّرت النظرة على وجه براد، وهو يلقي تحية المساء، وأعجبها أن جينا لم تشاهد هذه النظرة، وإلاّ لغلت غيرتها دون شك. . فوق النار.

٥ ـ الوجه الآخر للشهرة

في الأشهر التي تلت، أصرّ براد بأن تتمرن ساندرا يومياً، وأن تعتاد على أداء الأغاني الجديدة. مع أنه اعترف لها بأنها لن تغني حتى نصف هذه الأغاني. وقال شارحاً:

ـ ولكن التعود يولد قلة المبالاة، قلة المبالاة في هذه الحالة سوف يولّد الراحة، وأريدك أن تتمكني من السير فوق المسرح، أي مسرح في أي مكان من العالم، وتشعرين بأنك مرتاحة تماماً وتتمكنين من السيطرة على النُظّارة.

ـ لست أفهمك.

ـ صحيح!. ولكنك ستفهمين، أنت لم تُخلقي لهذا النوع من الحياة يا ساندرا، ولن تفهمي من كل قلبك، ولذلك سأجعلك تفهمين بعقلك. المغنية الجيدة يجب أن تمتلك «الشعور» نحو مستمعيها وتعرف تماماً كم من العاطفة والتوتر ممكن أن تفرقه عليهم. وهذا ما يجب أن تتمكني من فعله.

ـ أنت تتوقع المعجزات، ولست واثقة بأنني لن أخذلك.

ـ حمقاء!. افعلي ما أقول لك وسيصبح اسمك عالمياً بعد سنة من الآن.

وبعيداً عن العمل معه يومياً، فقد كانت تخرج معه مرتين أو ثلاث في الأسبوع، ومن وقت لآخر، كان يلغي موعداً معها وكان يقدم تفسيراً أكثر منه اعتذار، وكانت تعرف أن هذا بسبب جينا ساندرز. فكلما سافر زوجها، تتوقع من ابن عمتها أن يخصّص كل وقته لها. وتساءلت ساندرا عما إذا كان سيأتي يوم يرفض فيه أن يكون تحت تصرّف جينا وطلبها. وأرادت أن تسأله، ولكن علمها بأن هذا ليس من شأنها أبقاها صامتة. على كل الأحوال. . حدث شيء عند نهاية شهر تشرين الثاني، أعطاها

الفرصة لأن تسأل، فقد كانا يتمرنان طوال بعد ظهر أحد الأيام وقررا الذهاب إلى مكتبه لتناول القهوة والراحة.

ـ أود أن آخذ هذه الأغنية إلى المنزل وأتمرَّن عليها بمفردي. لدي فكرة لتقديمها بصورة أخرى وأريد أن أجرِّبها لوحدي أولاً.

ـ جرِّبيها معي وسأقول لك رأيي بها.

فضحكت وقالت :

ـ هذا مستحيل، فستصرخ بي وتجعلني أصمت. وأود أن أراجعها بنفسي إذا كنت لا تمانع.

والتقط «النوتة» ولفها في أسطوانة رقيقة وأعطاها لها وقال لها وهما في المصعد :

ـ لن يطول الأمر الآن. سأجعل «أ. س» يسمعك، وأنا واثق أنه سيوافق على أنك جاهزة.

وما كادا يصلان إلى باب مكتبه حتى شاهدا جينا قادمة نحوهما. وأجفلت ساندرا، فنظر إليها براد بحدة، بحيث أنها وقفت في مكانها بدل أن تستمر في السير، وقالت جينا بصوت مرح :

ـ ها أنت يا براد. كنت آمل أن ألقاك، ما رأيك أن تأتي معي إلى الشقة لتناول الشاي؟ سألتقي بأوليفر هناك.

وتردد براد، ونظر إلى ساندرا، فقالت المرأة بنعومة :

ـ وأنت أيضاً مُرَحَّبٌ بك آنسة لاوسون.

وأخذت الأمر وكأنه مسلَّمٌ به أن يقبلا دعوتها، فأكملت طريقها نحو المصعد، فلحقا بها، وصعد بهما المصعد إلى الطابق العلوي، وسارت بهما جينا إلى باب من خشب الموهوغني عند نهاية الممر، ووضعت المفتاح في القفل وفتحت الباب ثم سارت أمامهما إلى غرفة جلوس كبيرة، شهقت ساندرا عندما رأتها، ولم يكن حجمها هو الذي أدهشها فقط، بل طراز أثاثها الحديث جداً، وقال براد :

ـ لقد صمَّمتها جينا بنفسها. . . هل أعجبتك؟.

وقبل أن ترد ساندرا، ضحكت جينا وقالت :

ـ وهل تتوقع من الآنسة لاوسون أن تقول لا؟. ثق بها إذ لها بعض الكياسة أكثر من هذا!.

وقالت ساندرا بسرعة :

ـ ولكنها تعجبني. . إنها. . أكثر مما توقعت. إنك ماهرة جداً بالديكور الداخلي سيدة ساندرز. . لك ذوق رائع في الألوان.

ـ لم أتدرَّب على فعل شيء.

وكان في صوتها رنة حزن غير متوقعة. حزن يُفصح عن أيام من الضجر، عن تفتيش يائس عن شيء تفعله، وفي تلك اللحظة أحسَّت ساندي بالسعادة لوجود عمل لها وامتلاكها للموهبة، مهما كانت صغيرة. فكم هو فظيع أن لا يكون هناك شيء في حياة المرء سوى الاهتمام بصرف المال، إلاَّ إذا كان له شيء يستحق أن يصرفه عليه!.

ـ هل تصب لنا القهوة يا براد؟.

وغرقت في مقعد عريض مغطَّى بالمخمل الأحمر، وأشارت إلى الزاوية الأخرى منه لساندرا قائلة :

ـ تعالي واجلسي. . وتحدثي معي. كنت أسمع أشياء رائعة عنك، قال زوجي إنك تحسَّنت جداً في الشهرين الماضيين.

ولم تستطع ساندي سوى إظهار دهشتها، فضحكت جينا.

ـ من صميم عمله أن يعرف كل ما يجري.

وتقدَّم منهما براد يحمل فناجين القهوة وهو يسأل :

ـ وكيف له أن يمارس سلطته بغير هذه الطريقة؟.

ـ ولكن أوليفر لا يريد أن يمارس السلطة.

ـ هُراء!. فكيف له أن يعمل بهذا الكد لو أنه لا يهتم هكذا بالسلطة؟.

ـ لأنه يحب ما يفعل. بالنسبة له بناء عمل ضخم ومراقبته يتسع، هو أهم بكثير من أي شيء آخر، وهذا ما يسبِّب مجيء السلطة.

فضحك براد وقال :

ـ هذا ليس له معنى، فلست أتصور أن يكسر أوليفر ظهره في عمل لا

يعطيه حقوق الملك.

فسألته جينا :

ـ وماذا عنك؟. لماذا أنت طموح هكذا؟.

ـ لا يمكنك وضع طموحي بنفس مستوى طموح زوجك يا حبيبتي.

وأعطى جينا وساندرا فنجاني قهوتهما، وحمل فنجانه بيده ووقف قرب المدفأة.

ـ أنا أعمل لأحافظ على الجسد والروح معاً. ولو كان لي المال الذي لزوجك المهيب، لما كنت عملت أبداً.

ـ بل ستعمل، وستكون رب عمل أسوأ من أوليفر.

وبدت الابتسامة على وجه براد، وكأنها إجبارية، ونظر إلى ساندرا :

ـ هل توافقين على افتراضات جينا عن شخصيتي؟.

فقالت السيدة ساندرز قبل أن تجيب ساندرا :

ـ الآنسة لاوسون لا تعرفك بقدر ما أعرفك أنا. . إنها ترى الجانب اللطيف منك.

وانفجر الرجل بالضحك.

ـ كم هذا لطيف لتقوليه عن ابن عمتك المفضّل !. ولكن تذكري، الدم الذي يجري في عروقك هو نفس الدم الذي يجري في عروقي، وأنت تحبين القليل من السلطة أيضاً.

ـ لم يكن لي أية سلطة في حياتي.

وقالت ساندرا دون أن تفكّر :

ـ لك سلطة الجمال. .

فنظرت إليها جينا باستغراب

ـ كم هذا إطراء جميل.

ـ ولكنه حقيقي، ويجب أن تعرفي هذا بنفسك.

وهزت جينا كتفيها بقلة اكتراث :

ـ جمالي لم يوصلني إلى أي مكان.

ووضع براد فنجانه على المدفأة وقال :

ـ هيا الآن، لقد أخرجك جمالك من منزل ريفي إيرلندي إلى قصر على الطراز الجورجي في باكنغهام شاير، أليس هذا كافياً؟

ـ لا، هذا لا يكفي !. الممتلكات المادية لا تعني شيئاً، أنا أهتم أكثر بالدم واللحم.

ـ تجعلين نفسك تبدين وكأنك مصاصة دماء.

ـ وهل تظنين أنني مصاصة دماء يا آنسة لاوسون؟.

وللمرة الثانية تلك الليلة قطع على ساندرا مجال الرد، وأتى هذه المرة من فتح الباب، ونظر الجميع ليرى أوليفر ساندرز يقف هناك، وقال :

ـ لا تجيبي على مثل هذا السؤال آنسة لاوسون، عندما يتشاجر هذان القريبان، كل الأطراف الخارجية يجب أن تبقى بعيدة !. .

وقالت زوجته :

ـ أنا وبراد لم نكن نتشاجر.

ـ أنا واثق من هذا يا حبيبتي.

وتقدم نحو صينية القهوة ليصب لنفسه فنجاناً وهو يقول :

ـ هل أقدّم فنجاناً آخر لأي منكم؟.

فقال براد :

ـ لا شكراً، أنا وساندرا كنا خارجان، لقد صعدنا مع جينا لنسليها إلى أن تعود، أحب أن تستمع إلى ساندرا لو استطعت الحضور إلى الاستديو لبضع دقائق.

ـ لا أستطيع أن أعدك دون مراجعة مذكرة المواعيد، وحسب ما أذكر، أنا مشغول جداً. ولكني إذا استطعت سأفعل !.

وقال براد :

ـ تعالي يا ساندرا.

وخرجا معاً بصمت، واتجها نحو المصعد، وما أن وصلا إلى المدخل حتى وقفت ساندرا وهي تقول :

ـ لقد نسيت الأغنية في الشقة، الأفضل أن أعود لأحضرها.

ـ هل أذهب عنك؟.

www.elromancia.com

ـ لا، شكراً. أحضر السيارة بينما أرجع.

وأسرعت إلى الطابق الأعلى وتقدَّمت من نهاية الممر إلى شقة ساندرز، ولدهشتها وجدت الباب موارباً، فدخلت إلى الردهة، وسمعت أصواتاً في غرفة الجلوس، وما أن خطت إلى الأمام لتدخل حتى أدركت أن الاصوات غاضبة. كان أوليفر ساندرز يقول :

ـ أنت تفعلين ما بوسعك لتظهري وكأني أسيطر عليك وأرهبك، لقد سئمت من هذا يا جينا.

ـ سئمت؟. أنت سئمت، وكيف تظن أنني أشعر، وما نوع الحياة التي تظن أنني أحياها؟. إنني مجرَّد دمية تشد خيوطها كما تشاء أكثر مني امرأة من لحم ودم.

ـ أنت لا ترغبين في أن تُعاملي كامرأة من لحم ودم. تريدين أن أعاملك كدمية. تريدين أن أدللك وأغنجك. ومع ذلك عندما أفعل تتذمرين.

ـ هناك فرق في أن تفعل شيئاً بحنان واهتمام وبين معاملة المرأة وكأنها بلهاء، وأنت تعاملني هكذا يا أوليفر، وكأنني غبية.

ـ أنت لست غبية بالتأكيد. ولكنك لست زوجة أيضاً.

ـ وكيف تجرؤ على هذا القول !.

وظهر الكره في صوت جينا، حتى أن ساندرا تراجعت واتكأت على الحائط، خائفة أن تتحرك حتى لا يسمعانها، مع أنها كانت تعي أنه ليس من حقها أن تقف هناك وتستمع. وكررت جينا القول :

ـ كيف تجرؤ أن تقول بأنني لست زوجة. لولاك لكنت أكثر من زوجة. . لكنت. . .

ـ يا إلهي. . لا تقولي هذا. ليس لدي الحق أن أكلمك بهذه الطريقة يا جينا. . أنا آسف.

ـ أنت دائماً آسف.

ثم بدأت جينا، على حين غرة، بالضحك، رنة وراء رنة من الضحك لعلعت في الغرفة، وتردَّدت أصداءها في الردهة، كل واحدة

أعلى وأكثر جنوناً من التي قبلها، فصاح أوليفر.

ـ توقفي عن هذا !. لأجل السماء يا جينا توقفي.

وسمعت ساندرا صوت خطوات فوق السجادة، وتخيَّلت بأن أوليفر قد أمسك بكتفي زوجته. ودون أن تدري ما تفعل استدارت على عقبيها وهربت، دون الاهتمام بأنها لم تستعد نوتة الأغنية التي عادت لأجلها، غير مهتمة بشيء سوى الهرب. وعندما وصلت ساندرا إلى المخرج كانت سيارة براد متوقفة هناك، فركضت عبر الرصيف ودخلتها، وشعرت بالسرور للظلمة، ولزحمة السير التي تطلبت تركيزه على الطريق وليس عليها، مما أعطاها الوقت لتسيطر على نفسها. وما أن ابتعدا وأصبحا قرب الحديقة العامة، حتى تكلَّم براد، وكان حديثه، بالطبع، عن ابنة خاله.

ـ المشكلة مع جينا أنها ليس أمامها شيء تفعله. إنها فتاة موهوبة، ومع ذلك فلم يكن أمامها فرصة لتفعل شيئاً بهذه الموهبة !. إنها ليست مثلك، فأنت مكافحة ومتشبثة بالأمل. إنها كشجرة النبات المتعرش السامة، تنمو فقط بأن تلف نفسها حول شيء قوي ثم، ثم تخنقه ليموت بكل عاطفة وسيطرة.

وصدمتها مرارة كلماته. فسألته بعناية :

ـ ألا تظن بأن تصرُّف السيدة ساندرز معك هو خطأ منك؟. أعني أنها مستبدة على زوجها، أليست كذلك؟.

ـ إنها لا تخاف مني. . فهي لا تملك مثل هذه الحرية مع «أ. س». إن له طبع حاد مجنون.

وتذكرت المشهد الذي سمعته، فقالت :

ـ لا أعتقد أن طبع السيدة ساندرز هو أقل حدة.

ـ ولكنه نوع مختلف من الحدة، طبع جينا هو طبع طفلة، أما طبع أوليفرفهو طبع خطير.

والتفتت إليه متفرسة، ثم قالت :

ـ يبدو لي أنك لا تحب السيد ساندرز.

ـ أنا لا أحبه. أوليفر رجل صعب المراس، ولم يكن يعامل جينا

بطريقة أوافق عليها. ولهذا لا أعارض عندما تهاجمني، فمن المفيد لها أن تتخلص من مشاعر الكبت.

ـ هل هما سعيدان معاً؟. لا ترد عليّ إذا كان هذا يتطلّب السرية. فلم يكن لي الحق بأن أسأل.

ـ ولم لا؟ فأوليفر وجينا هما موضوع مثالي للحديث ما بين موظفي الشركة !. ولكن حسب ما أعرف، هما سعيدان، ولكن ما إذا كنت أنا وأنت نعتبر هذا سعادة، فهذه قضية أخرى. أوليفر يريد زوجة تدير رؤوس الرجال، وجينا تريد المال ورجل له سلطة. وكلاهما حقق ما يريد وعليهما معاً أن يتسامحا قليلاً، وجينا عنيدة ومتصلبة، ولكنها أفضل الآن منذ أن سكنت هنا. لقد شعرت بالوحدة بشكل أخف وهذا ما جعلها أكثر قناعة، وأظن أنهما قد اصطدما بشكلٍ رهيب معاً قبل أن أعيش هنا.

وقطّبت ساندرا، هناك شيء خاطىء في وصف براد لابنة خاله. في الواقع، كلما عرفت ساندرا عنها أكثر كلما أصبحت الصورة وقحة أكثر، أما بالنسبة لأوليفر ساندرز، فانه لم يبدو لها ذلك النوع من الرجال الذي قد يتحمل أية نوبة غضب من زوجته، ووجدت صعوبة في تصديق أنهما يتشاجران إلى المدى الذي يصوره براد، وسألها براد :

ـ لم أنت مقطّبة؟.

ـ لأنني لا أستطيع تصور ابنة خالك حسب الوصف الذي أعطيته لها. أنت مولع بها، أليس كذلك؟.

ـ إنها مثل شقيقة لي، وسأفعل أي شيء لتكون سعيدة.

ـ حسناً، أتمنى أن لا تنظر إليّ كمنافسة لها.

وأدركت ما يلمح إليه كلامها، فاحمرت. وضحك براد :

ـ أنت تبدين جميلة أكثر عندما تتحمّرين !. سأرى إذا كان باستطاعتي إحراجك.

والتقط يدها وضغط عليها :

ـ لا تقلقي حول غيرة جينا، يوماً ما عليها أن تُدرك أن. . .

ولم يُكمل كلامه، وأحسّت ساندرا أن لا حاجة لأن يُكمل. . لأن

الكلمات التي لم تُقل كانت واضحة. . ومع أن براد قد لا يهتم بغيرة ابنة خاله، إلاّ أن ساندرا شعرت بأنه أمر موجود.

ومع أن أوليفر ساندرز قال أن ليس لديه وقت لمشاهدة ساندي، إلاّ أنها لم تندهش عندما ظهر دون توقُّع في الاستديو. ولحسن الحظ لم تدر بوجوده إلى أن أنهت تمرينها، وخرجت من تحت الأضواء المسلّطة عليها، فقال لها بصوت خافت :

ـ تهنئتي لكِ على تقدُّمك الكبير.

وأسرع براد نحوهما ووضع يده على كتفي ساندرا بطريقة اعتيادية.

ـ حسنا يا أوليفر. هل تظن أنها جاهزة الآن؟

ـ بالتأكيد. ضعها في برنامج المنوعات الشهري بأسرع وقت ممكن، ولا تنسى أن تبلغني، أود أن أشاهدها.

وابتسم لساندرا، ورفع يده بنصف تحية وانصرف، وفي اللحظة التي أقفل بها باب الاستديو عانقها براد قائلاً :

ـ لقد نجحت يا ساندرا !. أنت في آخر مرحلة الآن.

ـ وماذا سيحدث بعد أن أظهر على الشاشة في برنامج المنوعات؟.

ـ عليك الانتظار لما سيقوله النُّقّاد عنك في جرائد الصباح !. فإذا كانت ملاحظاتهم عنك جيدة، عندها ستكون الخطوة التالية استعراض خاص بك. ثم بعدها تبدأين في التسجيل، ثم. . تستطيعين التخمين مثلي تماماً. ولكن آمل أن ينتهي بنا الأمر إلى جائزة من ذهب.

وكانت هذه المرة الأولى التي يذكر بها الوجه المالي لمستقبلها المهني، فنظرت إليه وحاجباها مرفوعان.

ـ وماذا ستفعل بالمال الذي ستحصل عليه يا براد؟.

ـ سنذهب إلى أميركا. . فهناك فقط أستطيع إنتاج الاستعراضات التي أحلم بها. ولشخص مثلك أميركا هي المكان الوحيد للنجاح.

ـ ولكنني لست واثقة بأنني أرغب في العيش هناك بصورة دائمة.

ـ سوف تفعلين لو أن هذا جيد لمستقبلك.

في الصباح التالي، دخلت إلى المطبخ لتناول الإفطار، فوجدت مغلّفاً

www.elromancia.com

باسمها، ففتحته وقرأت البطاقة فيه، كانت دعوة لحضور حفلة الميلاد في منزل ساندرز الريفي، فوضعت البطاقة مكانها وهي تُقَطِّب، ورأت أن أمها تنظر إليها فقالت شارحة، وهي ترفع البطاقة إليها فوق الطاولة :

ـ إنها دعوة من آل ساندرز.

فقرأتها السيدة لاوسون وابتسمت :

ـ هذا لطف منهم أن يدعوك. سوف تذهبين بالطبع.

ـ لست متأكِّدة. فأنا لا أعرفهم جيداً.

ـ ولكن السيدة ساندرز هي ابنة خال السيد أدامس، وربما لهذا السبب دعتك، ولا تستطيعين الرفض يا ساندي، فلن يكون هذا مفيداً لمستقبلك.

ـ أنا أكره استغلال الفرص.

ـ إذاً أنت تعملين في النوع الخاطىء من المهن، فمما عرفته من الاستماع لك ولبيري، كلما كان لك أصدقاء متنفذون في عالم الفن، كان هذا أسهل عليك للنجاح.

ـ ولكن الموهبة تساعد أيضاً. ولكنني أعتقد أنك مصيبة، يجب علي أن أذهب للحفلة، ولكنني لا أستطيع القول إنني أتوق لها.

وقالت نفس الشيء لبراد عندما رأته ذلك اليوم، ولكنه كأمها كان متأكِّداً أنها ستذهب، وبدا لها أن له يد في توجيه الدعوة لها. فنظرت إليه باتهام، ولاحظ التعبير على وجهها فأطرق رأسه وقال :

ـ أجل. . يمكنك لومي، لقد طلبت من جينا أن تدعوك.

ـ كم أتمنى لو لم تفعل، فإنها لا تحبني ولا لزوم للادعاء.

ـ لا تبني من «الحبة قبة» أتمنى لو تتوقفين عن تحليل دوافع الجميع في كل مرة، مستقبلنا مرتبط يا ساندي، وكلما عرف الناس بهذا في وقت أسرع كان أفضل، بما فيهم جينا.

خلال الأسبوع الذي تلا، تعلمت ساندرا أن كونها ستصبح مغنية أمر صعب، فأعيد تصفيف شعرها على يد أرفع اسم في عالم التزيين للشعر، ومؤسسة التجميل التي تمون الملكة، أرسلت خبيرة كي تعلمها كيف تُعنى

بنفسها على أفضل وجه. بعدها سُلِّمَت إلى يدي سيدة خزائن «ش. ت. م» للثياب، التي اشتهرت بأحذق ذوق للأزياء في البلاد.

ما صُرِفَ من أموال حتى هذا الوقت لم يكن كثيراً. ولكن عندما وصلت إلى مسألة الثياب، أدركت ساندي أن الفاتورة ستصبح ثقيلة جداً، فماذا سيحدث إذا لم تنجح كما كان يتوقع براد؟. وقالت له هذا فرد عليها :

ـ أنت تقلقين حول لا شيء. فالفواتير تدفعها الشركة، ولا تنسي أنك لو نجحت، فلن تظهري مع أية شبكة تلفزيون غيرهم. ولهذه الأفضلية يدفعون بكل طيبة خاطر.

ـ وإذا لم أنجح؟.

ـ وماذا تهم بضعة مئات من الجنيهات لشركة تكسب الملايين؟. إنسي الأمر ودعي اديت رامسدي تمونك بالملابس التي تريدها.

ولحسن حظها، لم يكن براد ينظر إليها كرمز للإثارة، بل كفتاة يمكن أن تُستقبل بالترحاب في منزل أيٍّ كان، وهكذا كانت الملابس التي طلب من اديت أن تصممها لها النوع الذي يروق لها تماماً.

ـ بالنسبة لي سأجعلك شقيقة للجميع. . ولكن ليس محبوبة الجميع.

ـ وهل هذا سيحول بيني وبين حياة الحب؟.

ـ بالطبع ا. لا تظني بأنني صرفت كل هذا الوقت لتدريبك كي تسرعي وتتزوجي. وسأضع هذا في عقد العمل. لا زواج للثلاثة سنوات القادمة دون موافقتي.

ـ أي عقد؟.

ـ العقد الذي من المتوقَّع أن توقِّعيه معي.

وغادرت البسمة وجهه وبدا أكثر جدية مما كانت قد رأته منذ زمن طويل. وكانا عندها في مكتبه، جالساً على حافة المكتب ينظر إليها.

ـ لا أريد أن أربطك دون وجه حق يا ساندرا، ولكن من حقي أن تستمعي إليّ في ما يتعلَّق بمستقبلك العملي. والطريقة الوحيدة للتأكُّد من

www.elromancia.com

هذا هو توقيع عقد معك، وسيكون العقد سهلاً، وبإمكانك عرضه على المحامي، ولا أريد سوى عشرة بالمئة من الأرباح. وهذه النسبة أقل بخمسة عشر بالمئة مما يأخذه المدربون في العادة !.

ـ ما كنت أفكّر بالعمولة. كنت أفكر فقط كيف سأربط نفسي مع أي كان.

ـ أنت لا تربطين نفسك تماماً. وإذا لم تريدي الغناء فلا أستطيع أن أجبرك. كل ما في الأمر أنك لو أردت الاستمرار في هذه المهنة فستفعلين هذا حسب طريقتي.

وهزت رأسها موافقة، فنزل عن الطاولة وجذبها بين ذراعيه فشعرت بجسدها يرتجف، فقال لها بصوت خفيف :

ـ استرخي، أكاد أشعر بضربات قلبك وكأنك عصفور مذعور، أنت رقيقة جداً، ولقد كرهت نفسي عندما كنت أضطر للصراخ عليك، ولكن كانت هذه الطريقة الوحيدة لأجعل منك ما أنت عليه الآن.

ـ لا تستطيع تحويل شخص إلى شخص آخر.

ـ ولكن انظري ماذا فعلت بك !.

ولم يكن هناك مجال للخطأ بلهجة الانتصار في صوته.

ـ كنت مادة خام عندما أخذتك يا ساندرا، وأنت الآن. . أنت شخصية مميزة. . وتحتاجين فقط إلى قليل من الثقة بنفسك، وعندها لن يكون هناك مجال للتراجع !. وسيكون هذا عائد لي. أوه يا ساندرا أنت لا تشعرين بالقوة التي أحس بها عندما أنظر إليك وأدرك بأنني أنا مَنْ صنعتك على هذه الصورة.

ـ تجعلني أشعر بالتوتر عندما تتحدث هكذا، إذ أخاف أن أخذلك.

ـ أنت أقوى من أن تخذليني. أنت كشجرة راسخة تحتاج فقط إلى الأرض الجيدة لتنمو فيها.

ـ لِمَ تستخدم تعابير مختلطة؟. عندما أنسى أنك إيرلندي، تذكرني كلماتك مرة أخرى !.

ـ لا تداعبيني هكذا يا ساندرا، أنا أعني ما أقول. . لديك الموهبة

والجمال، ولكن بدوني لن تستفيدي بشيء.

ـ لا حاجة لك للقلق بأن لا أكون شاكرة لك.

ـ لا تتحدثي عن الجميل. فأنا لم أقصد هذا، ما أحاول قوله إننا معاً نستطيع الوصول إلى القمة، معاً نستطيع تحقيق أشياء لن نستطيع تحقيقها كلٌ لوحده.

وملس شعرها عن جبينها.

ـ بشرتك ناعمة كبشرة الأطفال، مع أنك لست طفلة، أليس كذلك؟.

واشتدت قبضته عليها.

ـ أنت لست طفلة أبداً، أوه يا ساندرا. . أنا. .

ورن جرس الهاتف، فتركها والتقط الهاتف. فالتقطت ساندرا حقيبتها، وتسللت إلى الخارج، ولكن في مجرى حياتها، لن تتمكن من الخلاص منه بسهولة. .

www.elromancia.com

٦ ـ حفلة الميلاد

أخذت ساندرا تتهيأ لحفلة أمسية الميلاد المقررة في منزل ساندرز وقد سرَّت لتمكنها من ارتداء فستان يتناسب مع ملابس الحاضرين خاصة جينا ساندرز. وأخذت تفكر بنوعية المدعوين إلى الحفلة، وكيف سيبدو أوليفر ساندرز يا ترى؟ هل سيكون منطوياً على نفسه كالعادة أم متحرِّراً؟. وهل سيرقص معها؟. وتذكرت الساعة التي أمضتها معه في المطعم، كم وقعت أحداث لها منذ ذلك الوقت !.

ونظرت إلى نفسها في المرآة، وتنهدت بالرضى الكامل. لقد هيأت نفسها بعناية كما يجب أن تكون. والثوب الذي ترتديه يتناسب تماماً مع لون شعرها، الثوب الكستنائي «الشيفون» الذي ينسدل على جسدها وكتفيها العاجيين، ثم يضيق ليبرز خصرها الذي يبدو نحيفاً بشكل لا يُصدَّق. وما أن دخلت إلى غرفة الجلوس حتى وقف بيري وأمها بإعجاب. في هذه اللحظات رنّ جرس الباب. . إنه براد. وبدا الإعجاب واضحاً على وجه براد عندما رآها. ودُهشت لمشاهدة لون بشرته يحمر، وقال لها :

ـ أنت تبدين جميلة !. كم أتمنى لو أننا لسنا مضطرين للذهاب إلى الحفلة، . كنت أفضِّل أن تكوني معي لوحدي هذه الأمسية !.

ـ سوف تكون معي في ذهابنا وإيابنا.

ثم ودَّعت أمها وشقيقها وتبعته إلى الخارج.

كانت ساعة الكنيسة القريبة تدق الثامنة عندما انطلقت السيارة بهما في طريق معبَّد باتجاه منزل على الطراز الجورجي كثير النوافذ وقد كان يتلألأ بالأنوار، شعرت ساندرا برعشة توتر وهي تشاهد الناس يخرجون من سياراتهم ويصعدون الدرجات العريضة نحو الباب الواسع، وفي بضع لحظات دخلا إلى غرفة الاستقبال. توجَّهت أنظارها فوراً إلى الزوجين

اللذين يقفان قرب المدفأة. وشاهدتهما جينا لحظة دخلا، فرفعت يدها لتحيتهما، وانتظرت وصولهما، لتقول :

ـ أنا سعيدة بوجودكما باكراً.

وعلى الرغم من أن وجهها كان لجهة ساندرا إلاَّ أن عينيها تركَّزتا على براد وأردفت قائلة له :

ـ هذا رابع عيد ميلاد يمر ونحن بعيدون عن وطننا يا براد.

ومال إليها يقبِّل خدها قائلاً :

ـ ليكن هذا العيد أسعد الأعياد لك يا عزيزتي.

ـ أتمنى أن يكون العيد القادم أسعد.

وتراجع براد بسرعة ضاحكاً لأوليفر.

ـ أليست ابنة خالي امرأة رائعة؟. تتمنى لها كل ما في العالم لمناسبة الميلاد، ولا تزال تأمل بأن يكون العام القادم أسعد من هذا العام !.

فقالت جينا بصوت غريب :

ـ ليس كل شيء أتمنّاه !.

وأحسَّت بمعنى مختبىء في تلك الكلمات، معنىً ليس معروفاً إلا بين الثلاثة الواقفين أمامها.

وبدا أن أوليفر هو أول من استعاد رباطة جأشه، إذ ابتسم بمرارة لساندرا وقال :

ـ تبدين مختلفة تماماً، هل هذا جزء من التحوُّل؟.

ـ أجل. . هل يعجبك؟.

ـ كثيراً.

ومدت يدها دون تفكير إلى شعرها ورفعت خصلاته إلى الخلف فقال معلِّقاً :

ـ اتركيه. . لن تستطيعي تحسين ما هو كامل.

وسُرَّت ساندرا لأن جينا وبراد كانا قد ابتعدا ولم يسمعا ما قاله. فقد كانت جينا غيورة بما فيه الكفاية بالنسبة لابن عمتها، دون الحاجة لسماع زوجها يطريها أيضاً !. وأضاف أوليفر :

ـ كنت أظن أن احمرار الخجل يذهب مع الراحة، لقد توالى على وجهك ثلاثة أنواع من اللون الأحمر خلال ثوان قليلة !. دعيني أحضر لك شراباً، قد يساعدك على أن تشعري بالراحة أكثر.

وأشار إلى الساقي، وشاهد براد الحركة بطرف عينه فتقدم منهما قائلاً :

ـ سأتناول كأساً أيضاً. وهكذا نستطيع شرب نخب مضيفنا ومضيفتنا.

مرت الساعات قبل موعد العشاء بين الحديث والرقص. تنقلت ساندرا خلالها من شريك رقص إلى آخر، ولم تسنح لها فرصة الحديث مع براد إلى أن جلسا معاً لتناول الطعام إلى طاولة صغيرة حيث قال لها :

ـ أنت متنصرة كبيرة، ولن أدعك تبتعدين عن نظري فيما بقي من الأمسية. وإذا طلب منك أحد الرقص اعتذري.

ـ لا تكن سخيفاً. هذه حفلة، أتذكر؟.

فتنهَّد وقال :

ـ أنت أكثر النساء جمالاً هنا، هل تعلمين هذا؟.

ـ أنت تبالغ كالعادة.

ـ إذا كنت تعنين أنني متميِّز بالإفراط الإيرلندي، فسأنفي هذا بحماس !. هنا يوجد بعض الجميلات ولكنك أجمل منهن جميعاً !. والقليل هنا يعرفك، ولكن في العام القادم وفي المناسبة نفسها سيكون الأمر مختلفاً. فالجميع حينها سيعرفنا : أنت وأنا.

نظرت إلى وجهه بفضول، وتساءلت عما ستقوله جينا لو أنها عرفت.. وكأنما التفكير بالمرأة قد أتى بها، فقد تقدمت جينا منهما قائلة :

ـ ألا تشاهدان بعضكما كفاية كل يوم؟. لقد وعدتني بالجلوس إلى طاولتي يا براد، العشاء هو الوقت الوحيد الذي أستطيع الحديث فيه معك، بعد ذلك يجب أن أكون مع كل الضيوف.

ـ سأجيء إليك غداً يا حبيبتي.

ـ كنت آمل أن تقضي الليلة هنا، ولكنني تذكَّرت أنك ستوصل

الآنسة لاوسون إلى منزلها، ربما يستطيع شخص آخر أن يفعل هذا !.

ـ أبداً، لن يحدث هذا. إذ لا ينبغي أن تنسي أخلاقي الطيبة، أليس كذلك؟. فعندما يُحضر سيد مهذَّب سيدة معه يجب عليه أن يعيدها إلى منزلها.

وقالت ساندرا بسرعة :

ـ أنا واثقة أنني أستطيع أن أجد مَنْ يوصلني إلى منزلي، والسيدة ساندرز محقة، لو كنت أعلم بأنك ستمضي يوم غد هنا لدبَّرت أمر عودتي لوحدي.

فقالت جينا وهي تبتسم :

ـ ها أنت.. الآنسة لاوسون منطقية مثلي تماماً. وليس من الضروري أن تعيدها إلى منزلها يا براد.

ـ لا تتحدثي بالأمر. سأكون هنا وقت الغداء غداً.

وهزت جينا كتفيها، ودون أن ترد ابتعدت عنهما فقال وهو يتنهَّد :

ـ مسكينة جينا، إنها لا تحب أن تفشل في فرض ما تريد. وبما أنها تفشل دائماً مع أوليفر تحاول دائماً النيل مني.

ـ من الواضح أنها كانت تنجح إلى أن وصلت أنا إلى المسرح.

ـ ألست سعيدة بوصولك إلى المسرح؟.

وهزت ساندرا رأسها. ولكنها لم تكن تؤمن بأن أوليفر ساندرز سوف يبقى مرتبطاً بامرأة لا يحبها، وما من شك بأن جينا نفسها لا تجد أن زواجها ناجح، فاعتمادها على براد يشير إلى هذا، ولكن كيف يمكن أن يكون أوليفر ساندرز سعيداً وهو يعلم هذه الحقيقة؟. وكان براد قد قال لها أن أوليفر أحب جينا من النظرة الأولى، وعندما نظرت ساندرا من حولها إلى الغرفة الفخمة الغالية الأثاث، تساءلت عما إذا كان ما شعر به أوليفر هو الحب أم مجرد حب تملُّك لوحة جميلة أو قطعة أثرية. وقاطع براد أفكارها قائلاً بصوت خفيف :

ـ ما بك؟. هل انزعجت من كلام جينا؟.

ـ بطريقة ما، هناك شيء حزين يلفها.

www.eromancia.com

- إنها إيرلندية. وهناك دوماً شيء حزين يلف الإيرلنديين !. دعينا نتكلم عن أنفسنا يا ساندرا. ما رأيك لو نغادر هذا المكان ونسير ببطء نحو المدينة؟.

- ويفوتنا ما تبقّى من السهرة الجميلة؟.

وبإشارة غاضبة دفعت كرسيها إلى الوراء ووقفت :

- ربما أستطيع أن أجد مَنْ يُعيدني إلى المنزل، فالسيدة ساندرز على حق، من السخافة أن تضطر إلى. . .

- أنت لست خائفة من العودة معي، أليس كذلك؟. لا تقلقي يا عزيزتي أنا لن أتطفل أبداً على أنثى لا ترغب بي !.

عند الثانية عشرة، توقّفت الموسيقى وقُدّمَت سندوتشات النقانق واللحم المدخّن مع القهوة، ولم يظهر على أحد الرغبة في العودة إلى الرقص، بعد وجبة منتصف الليل. واقترح أحدهم على الحاضرين أن يلعبوا لعبة «القصاص» وانقسم الجميع إلى قسمين، ولسوء حظ فريق ساندرا اضطر كل واحد أن ينفّذ قصاصاً، وبقيت ساندرا الأخيرة لتنفّذ القصاص الذي يُطلب منها. فصرخت جينا :

- لدي فكرة أفضل، ساندرا مغنية، فلماذا لا يكون القصاص أن تغنّي لنا؟.

ونظرت ساندرا إلى براد فقال لها بصوت خافت :

- إنها فرصتك التي سنحت باكراً ولا يُمكّن أن تخذليني الآن.

وعضت شفتيها منتظرة ماذا سيُفرَض عليها أداؤه واقترحت عدة أغاني ناجحة لهذا الشهر. ولكن جينا هزت رأسها بعناد :

- لم أقصد أغنية عادية، فهذه لن تكون عقوبة أبداً، فأداء مثل هذه الأغاني شيء طبيعي لها. لنطلب منها أن تغني أغنية من مسرحية «مدام باترفلاي».

واتجه براد بسرعة إلى جينا، ونظر إليها قائلاً :

- هذا ليس قصاصاً عادلاً.

فسألته جينا أولاً ثم استدارت إلى ساندرا :

- ولم لا؟. إذا كنت لا تستطيعين الغناء فسوف نفرض عليك شيئاً أسهل.

وأحسّت ساندرا أن المقصود من اقتراح جينا هو إيذاؤها فقررت بعناد أن تقبل التحدّي. وقالت :

- بالطبع أستطيع أن أغني ما طلبت ولو أنني لم أتمرّن منذ فترة، لذا ستسامحوني لو لم أكن منسجمة الأداء مع اللحن.

وتقدّمت نحو الفرقة الموسيقية، فهز قائدها رأسه وقال :

- لا نملك النوتة، ولكننا سنبذل جهدنا لنتبعك.

وملأت الأنغام الغرفة، وجلس الجميع يصغون، وأغمضت ساندرا عينيها وبدأت الغناء، وفرضت الأنغام نفسها، وأخذت ساندرا تصدح بها. وتناست كل تعليمات براد ورايان دويزي. وعادت لتسمع تعليمات البروفسور فاليرو، وتذبذبت الأنغام الصافية في الجو، كل مقطع أفضل مما سبقه. وبالرغم من أنها حسبت أن الغناء الشعبي سيُفسد صوتها، إلاّ أن صوتها لا يزال جميلاً كما كان دائماً.

وما أن شارفت الأغنية على النهاية، حتى سادت فترة من الصمت الكامل، ثم دوّت عاصفة من التصفيق وفتحت ساندرا عينيها، وانحنت، وهي تشعر بجينا تراقبها. وتقدّم منها براد، ولكن ساندرا شعرت فجأة بحاجة للانفراد بنفسها، فانسلت هاربة إلى الشرفة.

وقفت ساندرا إلى جانب الحاجز الحجري وحدّقت إلى الحديقة. وتنفّست نفساً عميقاً من الهواء البارد المعطّر، وامتلأت عيناها بالدموع، فهي لم تغني أغنية أوبرا منذ أن تركت الدراسة، وثارت الذكريات الحلوة المرة في ذهنها. وسمعت حركة خلفها فاستدارت لترى طيفاً طويلاً يتقدم نحوها، إنه أوليفر ساندرز.

- آسف لو أخفتك. كان لدي شعور بأنك هنا.

- الجو خانق في الداخل، واحتجت لتنفّس بعض الهواء النقي.

- بالتأكيد، إن لك صوتاً جميلاً. من المؤسف أنك لم تستطيعي إكمال دراستك.

ولم ترد عليه، فوضع يديه في جيوبه واستند إلى الحاجز، ثم قال :

ـ أرغب في دفع تكاليف متابعتك الدراسة إذ أنني لا أستطيع رؤية المواهب تضيع.

فنظرت إليه غير مصدقة، وغير قادرة على الرد. فقال :

ـ حسناً. . هل تقبلين؟.

ـ لست أدري. . . لم أتوقع. . لم أظن أبداً أنك من بين كل الناس. . . هذا لطف منك. . ولكنني لا أستطيع !.

ـ ولم لا؟.

ـ لشيء واحد هو أنني لا أستطيع أن أخذل براد بعد كل ما فعله من أجلي وشيء آخر هو أنني لا أقبل الإحسان، فالتدريب في الكلية يكلّف مالاً كثيراً ولو قبلت عرضك فلا أعلم متى أستطيع رده إليك.

ـ وهل طلبت منك أن تردي إليّ شيئاً؟. كل سنة تعطي شركتي منحة مدرسية وجوائز لمختلف المؤسسات التعليمية، وتستطيعين النظر إلى عرضي على هذا الأساس.

فابتسمت، وقد أدهشها اعتقاده بأنه يستطيع إقناعها بسهولة.

ـ لا أستطيع، مع أنني أحب أن أفعل، لا أستطيع.

ـ أعتقد أنك سخيفة، لماذا لا تفكّرين بالأمر؟. وإذا كنت خائفة من أن تخذلي براد، سأتكلّم معه لأجلك، وصدقيني، من السهل جداً إيجاد مغنية شعبية لكن ليس من السهل إيجاد مثل «كالاس»

ـ أنا لن أستطيع أن أكون مثل «ماريا كالاس».

ـ لا أعلم إذا كان باستطاعتك أن تكوني أم لا. ولكن الأمر يستحق المحاولة.

ونظرت إلى الأرض. منذ ساعات كانت خائفة من أن تسمع جينا إطراء زوجها لها، لكم ستشعر بالغيرة لو أنها سمعت ما يقوله الآن؟. ونظرت ساندرا إليه ثانية، وهي ممتنة للضوء الضعيف الذي يخفي دموعها :

ـ لا أستطيع قبول عرضك، وأرجوك لا تعتقد بأنني غير شاكرة لك

ولكنني. . فقط. . لا أستطيع القبول.

ـ حسن جداً. . هذا قرارك.

وأمسك بذراعها وأضاف :

ـ تعالي إلى الداخل فقد تصابين بالرشح.

وقبل أن يصل إلى الباب توقف، واستطاعت ساندرا أن ترى وجهه بوضوح أكثر فلاحظت أنه يبدو تعباً وشاحباً. والخطوط في وجهه أكثر عمقاً من قبل. فسألته بسرعة :

ـ هل تشعر بأنك بخير؟.

ـ أنا بخير تماماً.

وهزت رأسها، خشية أن يحسبها حمقاء، ثم قالت :

ـ آسفة لأنني سألتك، ولكن مظهرك غريب، وكأنك شاهدت شبحاً.

ـ أنا لم أشاهد شبحاً، ولكنني شاهدت مخلوقاً دافئاً من لحم ودم. . مخلوق من لحم ودم. . حي ودافىء. . فأنا أفتقد الدفء. . وأشتاق إليه.

وقبل أن تُدرك ماذا يحصل، التفت ذراعاه حول جسدها وشدها إلى صدره. ووضع خده على خدها، كانت بشرته باردة ولكن أنفاسه حارة، وأحست أنها أمام عاطفة محبوسة، فانتابها الخوف من مقاومته، وهكذا استسلمت لعناقه بصمت، مغلقة شفتيها مُغمضة عينيها، وجسدها متوتر. فقال لها بصوت منخفض :

ـ أنت جميلة جداً. جميلة ودافئة.

فقالت بصوت ناعم وواضح :

ـ قد أكون جميلة، ولكنني لست دافئة في هذه اللحظات، في الواقع أنني أشعر بالبرد الشديد.

كان هذا مجهوداً يائساً، لإضفاء بعض المرح على الموقف الذي يكاد يفلت زمامه من أيديهما، فالأمان الوحيد، هو في تدمير هذا الجو بينهما، لو لم تستطع خلق جو آخر، فقد يفرض جو آخر نفسه، وقد يكون خطراً

ومدمراً.

على كلٍّ، كان لكلماتها الأثر الذي رغبت به. فقد تراجع وهو ينظر إليها.

ـ ليس لديّ الحق في أن ألمسك ولكنني ألوم روح الميـــلاد، هل تسامحيني؟.

ـ ليس هناك شيء لأسامحك عليه. وأميل إلى الاعتقاد بأنك تأثرت كثيراً بغنائي العاطفي.

ولمست ابتسامة خفيفة جوانب فمه :

ـ لك طريقة رائعة في تفسير الأمور يا ساندرا لاوسون، وحول عرضي هل لا يزال رفضك قائماً؟.

ـ أجل. . أخشى هذا.

ـ حسن جداً.

ودون كلمة أخرى تراجع وفتح باب الشرفة لها. ثم لحق بها. ودون أن تنظر إليه ثانية أسرعت إلى إحدى غُرَف النوم حيث جلست أمام طاولة الزينة ونظرت إلى نفسها في المرآة. ومع ذلك فقد كانت خائفة من أن تنظر بدقة حتى لا تقرأ ما قد يكون مكتوباً في عينيها.

٧ ـ خطوة نحو القمة

أمضت ساندرا يوم الميلاد مع والدتها وشقيقها بيري، وفكرت باستمرار بأوليفر ساندرز، وكلما فكرت به أكثر، كلما بدا لها تصرفه غريباً. واتصل براد ليقول بأنه سيمضي يومه مع جينا وأنه سيذهب إلى الاستديو في الصباح التالي للتحضير لاستعراض سوزي باري الذي ستظهر خلاله على الشاشة. وعلمت ساندرا أن براد لم يُضِعْ وقته في الريف سدىً، إذ يلزمه موافقة أوليفر كي تظهر في هذا البرنامج الرئيسي، ولكن هل كانت موافقته عائدة لإقناع براد له أم بسبب ما حدث بينهما على الشرفة الليلة الماضية؟. وقالت لها أمها :

ـ لماذا يبدو عليك السرور هكذا؟.

وأخبرت ساندرا أمها محاولة إخفاء الإثارة من صوتها، فهزت السيدة لاوسون رأسها وقالت :

ـ لقد آن لك أن تظهري موهبتك، وما أن تخطي الخطوة الأولى فلا ينبغي أن تتراجعي.

ـ أتمنى أن يكون لي ثقتك بالنفس يا حبيبتي، ففكرة وضع نفسي تحت التجربة تُرعبني !.

جلست في الناحية الأخرى من المدفأة وتساءلت عن الأغنيات التي سوف تغنيها في أول استعراض لها. ومرت بذهنها كل الألحان الأخيرة ولكنها لم تجد واحدة تناسب شخصيتها. وتذكَّرت فجأة اللحن الجميل الذي كان يلعبه رايان دويزي منذ أشهر، فاتصلت به، وبادرته مهنئة :

ـ ميلاد سعيد يا رايان؟.

ـ وما السعيد حوله؟.

ـ عصفورتك الصغيرة سوف تختبر جوانحها في استعراض سوزي باري الأسبوع القادم.

www.elromancia.com

ـ هذا رائع يا ساندرا هل تريدين أن تراجعي الألحان معي.

ـ أجل، أرجوك، كذلك أريد أن أغني اللحن الذي عزفته أمامي منذ أشهر.

وتذكره فوراً ودمدم بعض مقاطعه، فقالت :

ـ هذا هو، اكتب لي الكلمات أرجوك. لقد وعدتني.

ـ لم أعدك وأنا لست كاتب أغنية.

وساد صمت قصير، ولم تقل ساندرا خلاله شيئاً، وابتسمت وهي تسمع همهمة في الطرف الآخر، ثم سمعت صوته وهو يقول لها إنه سيحاول أن يفعل ما تريد. وكانت ساندرا متأكّدة أن رايان لن يخذلها، ومع هذا فقد دُهشت عندما اتصل بها بعد ساعة ليُعلمها بأن الكلمات جاهزة، وأردف :

ـ لا أدري إذا كان سيعجبك، ولكن هذا أفضل ما أستطيع.

وبدأ يلمس المفاتيح ببطء ويغني :

أغنيـــة حب أهديهـــا إليك ... أنغـــامـــهـــا من قلبي

ومع كل دقة قلب، أسمع اسمك ... عندمـــا لا تكون بقـــربي

أغنيـــة حب كل مـــا أملك ... فـــلا مـــال لي ولا شـــهـــرة

ولكنني أغنى من مليـــونيـــر ... عندمـــا أذكـــر اسـمك كل مـرة.

وتلاشى صوته، وابتسمت ساندرا، الكلمات لا يمكن أن تكون أكثر بساطة من هذه، ومع ذلك فيبضع كلمات بسيطة لمس قلبها، لأنها مقتنعة أن الأغنية ستمس قلوب الجميع.

ـ ستكون هذه أغنيتي الخاصة يا رايان، لا أريدك أن تعطيها لأحد غيري.

ـ أنت الوحيدة التي تستحقينها. . فما من أحد يجرؤ على إيقاظي من خمولي في يوم الميلاد !.

عندما رأت براد في الاستديو كانت لا تزال تبتسم لما سمعته من

رايان، وأخبرته بما جرى، فأشار إلى نوتة موضوعة خلفه على الطاولة وقال :

ـ لقد أرسل رايان اللحن. ولقد وزّعها توزيعاً جميلاً، وستكون الأغنية الرابحة يا ساندرا وأنا واثق تماماً من هذا.

عندما غنّت ساندرا الأغنية أصبحت واثقة من النجاح أيضاً، ولكن عندما دخلت سوزي باري الاستديو لتستمع إلى التمرينات لم تبدو سعيدة جداً عندما علمت أن هذه هي الأغنية التي ستغنيها ساندرا في استعراضها، وقالت لبراد :

ـ هل تظن من الحكمة أن تقدّم مغنية جديدة أغنية جديدة؟.

ـ إنها أغنيتها الخاصة، وأريدها أن تغنيها في أول ظهور لها على الهواء.

ونظرت سوزي باري إلى ساندرا نظرة حاقدة، والتفتت إلى براد ثانية :

ـ لا زلت أعتقد أنه كان عليك أن تسألني ما نوع الأغنيات التي ستغنيها الآنسة لاوسون، فعلى كل الأحوال هذا استعراض سوزي باري.

ـ وهذا سبب إضافي يدفع ساندرا الآن لتؤدي أغنية جديدة، فأنا لا أريدها أن تغني شيئاً كنت سبب شهرته وبما أنك تشهرين أغنية كل أسبوع، فهذا لا يترك لساندرا شيئاً !.

ولمس ذراع سوزي باري وتابع :

ـ إنها فرصة رائعة لساندرا أن تظهر في استعراضك يا عزيزتي. . لبرنامجك أعلى نسبة نجاح بين كل البرامج للسنة الماضية، لذا قرر «أ. س» أن تجرّب حظها فيه.

ولدى ذكر اسم «أ. س» تلاشى غضب سوزي باري وقالت :

ـ أنا سعيدة لأنه يعرف مدى شهرة ونجاح برنامجي، فعقدي سيحتاج إلى تجديد قريباً، ولست أنوي المتابعة بنفس الأجر.

ـ أنا واثق أنه يُدرك هذا. وفي الواقع أمضيت الميلاد معه وكنا نتحدث عنك.

واقترب منها أكثر، وشاهدت ساندرا لأول مرة كيف يمارس فتنته الإيرلندية، وذابت سوزي باري لكلماته، ورنت ضحكتها عالياً وعيناها البنيتين مسمرتين عليه، وسار معها حتى الباب، وحدثها للحظات أطول، ثم عاد وهو يلوح بإصبعه علامة الانتصار.

ـ لقد بدوت مذعورة عندما دخلت سوزي، لا حاجة بك إلى الخوف، فلن تجرؤ على تخريب نمرتك بعد الآن.

ـ وكيف تستطيع تخريبها؟.

ـ رنة خاطئة في صوتها وهي تقدِّمك، أو أحد تعليقاتها الساخرة، وهي مشهورة بها، ولهذا قلت لها إن القرار كان لـ «أ. س» بوضعك في برنامجها. وستعلم بأنه سيشاهدك وستكون حذرة.

في نهاية الأسبوع، التقى جميع مَنْ سيشترك في استعراض سوزي باري، في استديو خارج لندن، حيث ينتج ويصور كل برامج المنوعات، ومع أن مبنى شبكة التلفزيون المتحدة في لندن هو مبنى ضخم إلاَّ أنه ليس كبيراً إلى حد يتسع للعديد من المناظر وغرف التبديل المطلوبة لإنتاج البرامج الضخمة. وبدا أن كل شيء كان يسير على عكس ما كانت تشتهي ساندرا. . فقد تأخَّرت عن بدء غنائها مع الموسيقى، وكان على سوزي أن تعيد تقديمها ثانية. وفي منتصف الغناء، وجدت نفسها تنظر إلى الكاميرات التي لم تكن تعمل إلى يسارها بينما كان يجب أن تنظر إلى اليمين، ومرر براد يده في شعره بيأس ولكنه قال بهدوء :

ـ الأضواء الحمراء تحت الكاميرا تعني أن هذه هي التي تعمل، ومن المُفترض النظر إليها.

وردت عليه ساندرا :

ـ أعلم، ولكنني متوترة الأعصاب ونسيت.

فقالت سوزي وهي تقف قربها :

ـ لا بأس، سوف تتمكنين من ذلك غداً.

ودُهِشَت ساندرا لقيام سوزي بتطمينها. وكأنما قرأت المرأة أفكارها فابتسمت وقالت :

ـ عندما رأيتك ذلك اليوم لم أكن على ما يرام، لذا كان طبعي سيئاً، ولكنني لست سيئة كما تظنين !. فالسبب أنني أعمل جاهدة لأن أبقى في القمة، وأشعر دائماً بالتوتر عندما أرى متسلقة جديدة نحو القمة !.

وحل يوم الاستعراض، وبناءً على تعليمات براد بقيت ساندرا في فراشها طوال الصباح ولم تصل إلى الأستديو إلاَّ في الوقت الضروري. ولكن ما أن جلست في مقعدها حتى شعرت بمخاوفها تزول، لأن الجو كله في الاستديو كان أمراً واقعياً، بحيث أنه من السخافة أن يفكِّر المرء بالفشل. ولم يكن دورها سيحل إلاَّ بعد نصف ساعة من بدء الاستعراض واقترح عليها براد أن تجلس في غرفة المراقبة لتراقب ما يجري. بعد نصف ساعة توقَّف الاستعراض لبث الإعلانات، وتثاءب براد مداً ذراعيه. ووقف ليُمسك بكتفيها بشدة، فأدركت أنه متوتِّر بسببها وليس للعمل الذي يقوم به.

ـ اخرجي إلى المسرح واصعقيهم.

فابتسمت، ودفعت الباب، وسارت إلى الاستديو، ولكن داخل غرفة المراقبة كان هناك نظرات استحسان لمظهرها الجميل والكاميرات مصوَّبة نحوها ووجهها يظهر على الشاشة، وقال أحد التقنيين لبراد :

ـ إذا غنَّت بنفس الروعة التي تبدو بها، فلا حاجة بك إلى القلق.

ساندرا من جهتها لم تكن تهتم بشيء أو بأحد. ووقفت تنتظر أن تبدأ الغناء والكاميرات تتحرك أمام عينيها، وللحظة أحسَّت وكأنها سيُغمى عليها، ثم رأت مدير المسرح يرفع يده، وسوزي باري إلى جانبها تبتسم، وكأنما من مسافة بعيدة عنها، تم تقديمها، وبشكل آلي قامت بالتجاوب الصحيح، ثم صدحت الموسيقى من ورائها وتقدَّمت لتنزل الدرجات، وما أن وصلت إلى آخرها حتى بدأت الغناء، ولدهشتها وجدت أنها لم تعد متوترة، وأخذت تتلوى أمام الميكروفون، تغني الكلمات التي كتبها رايان لها وهي تشعر وكأنها لوحدها تماماً، وكأنما لا يراقبها أحد. «أغنية حب.. عندما أكون بين ذراعيك.. » وتلاشت آخر النغمات، وانحنت أمام الكاميرات، وانطفأ الضوء الأحمر ولم تعد تظهر على الشاشة،

فارتاحت ساندرا وأسرعت مبتعدة عن المسرح. ووجدت نفسها، وقد انتهى كل شيء الآن، ترتجف، ولكن الرجل وراء أقرب كاميرا إليها، غمزها ورفع إصبعه علامة الجودة، فابتسمت، وشعرت بنبضاتها تتسارع لهذه الإشارة بالاستحسان من واحد من أكثر التقنيين انتقاداً. وعادت بسرعة إلى غرفة الاستراحة، وبقيت هناك إلى أن جاء براد، وعندما رأت وجهه علمت أن لا شيء أمامها تخافه.

ـ لقد كنت رائعة. فباستماعي لك الليلة علمت أن عندك موهبة سوف توصلك إلى القمة.

فابتسمت له وردت قائلة :

ـ أتمنى لو أصدقك، وكل ما توصلت إليه هو بفضلكما أنت ورايان.

ودون أن تفكّر وقفت على رؤوس أصابعها لتقبله في خده، ثم تراجعت بارتباك عندما رأت أوليفر ساندرز يدخل، وزوجته مسمَّرة عند الباب، وقالت جينا، صوتها مرتفع وحاد :

ـ آسفة لتطفلي عليك يا ابن عمتي العزيز.

ـ لست متطفلة يا ابنة خالي العزيزة، فقد كانت ساندرا تقبلني قبلة شكر.

ووضع ذراعه على كتف ساندرا، وقادها إلى حيث يقف أوليفر وزوجته، وقال :

ـ لم أكن أعرف أنك تشاهد البرنامج على الهواء يا أوليفر.

ـ لم أكن أنوي. فأنا أفضّل أن أرى الاستعراض كما يراه المشاهدون.

وابتسم باختصار لساندرا، وتابع :

ـ ولكن لديّ اجتماع هنا مع بعض منتجي الأفلام. لذا قررت أن أبقى وأتفرّج. كنت جيدة جداً يا آنسة لاوسون. . تهنئتي لك.

ـ شكراً لك.

وشعرت بالرعدة لاختصار ملاحظاته، وحدّقت إلى جينا متوقعة أن ترى الغيرة، ولكنها دُهِشَت لرؤية الحزن بدلاً منها، وقالت المرأة بسرعة :

ـ صوتك كان جميلاً، إنها موهبة رائعة، تجعلني أتمنى يائسة أن يكون

لي موهبة خاصة بي.

فرد عليها زوجها بصوت حنون :

ـ موهبتك في إدارة منزلي، وفي كونك أجمل مضيفة منزل في لندن.

ـ إنها حياة فارغة أن أكون مضيفة منزل فقط.

ورد عليها براد :

ـ أستطيع تسمية مئة امرأة يتخلين عن أي شيء ليكنّ في مركزك. ما رأيكم أن نحتفل بالمناسبة؟. فلن نشهد كل ليلة ولادة نجمة قديرة.

فقال أوليفر ساندرز :

ـ فكرة رائعة. . فالشركة تستطيع أخيراً أن ترعى اكتشاف نجمة لها وحدها !.

وابتسم براد للمرأة والرجل أمامه وقال :

ـ ما رأيكما بشقتي؟. لقد مضى وقت طويل منذ زرتماها أنت وجينا.

فقالت جينا بإثارة وهي تمسك بذراع زوجها :

ـ فكرة رائعة، قل للسائق أن يذهب لوحده وسنذهب جميعاً مع براد.

وتوقفت سيارة براد القديمة الطراز أمام بيت صغير في ناحية «تشلسي» وفتح الباب، فدخلوا إلى ما كان واضحاً أنه غرفة الجلوس الوحيدة في ذلك المنزل. وقال أوليفر ساندرز معلقاً :

ـ يبدو أنك غيرت الأثاث بعد آخر مرة زرناك فيها يا براد.

ثم ساعد زوجته على خلع معطفها، بعد ذلك تحرّك نحو ساندرا، فرد براد بابتسامة :

ـ لقد سئمت من المقاعد البنية القديمة، وقررت زوجتك المخلصة أن تكون ابنة خال مخلصة وشجعتني على صرف كل مالي !.

وقالت جينا، بفظاظة غير متوقعة :

ـ لم يكن يمكن لك أن تستمر في العيش كالخنزير. وكان هذا مقبولاً عندما كنا نعيش في إيرلندا. ولكن ذلك لا يلائم منتج تلفزيون ناجح.

فقال براد :

ـ ولكن المنتج الناجح لا يُحكم عليه من منزله. بل من عمله، أليس كذلك يا أوليفر؟

ـ اتركني خارج هذا الجدل. فمن الأمور البديهية عدم التدخُّل في منازعات أعضاء عائلة واحدة، وخاصة بين براد وجينا، فهناك شيء في الإيرلنديين يجعلهم يتقاتلون كالقط والكلب، ومع ذلك يكونون أكثر شراسة مع أي واحد يهاجمهم !.

وتوجهت ساندرا نحو المدفأة لتشغيل التدفئة الكهربائية. كان منظرها جميلاً بدون أن تشعر، وهي تجلس على الأرض. كان هذا ملحوظاً حتى أن براد علّق عليه :

ـ لا أظن إنك ستنجحين كمغنية أوبرا يا ساندرا، فانك لا تملكين وزناً كافياً لها !.

فضحكت وقالت :

ـ ليس جميع مغني الأوبرا بدينين، فما رأيك بإيلينا كوتروباس؟

وقال أوليفر، من دون توقع :

ـ أنا أوافق مع براد، فبرؤيتك الآن، لا يمكن التصديق أن صوتاً ضخماً قد يخرج من شخص صغير مثلك.

ـ أنتما تجعلاني أبدو وكأنني قزمة، وعلي أن أقول أن طولي خمسة أقدام وأربع إنشات.

وقال أوليفر وهو يركع على ركبتيه قربها :

ـ لن أصدق هذا. . ولكنك حقاً كنت رائعة الليلة آنسة لاوسون، ويجب أن أهنئك ثانية.

ولحقت به جينا نحو الأرض وقالت :

ـ الكل يتحدث عن التهنئات، ولكنكم لم تفعلوا شيئاً بهذا الخصوص فأين العصير يا براد؟.

ـ في البراد.

ـ في البراد؟. لا تقل بأنك كنت تتوقع قدومنا لنحتفل؟.

ـ لم أكن أتوقع قدومك وأوليفر، بل كنت آمل أن تأتي ساندرا معي.

وغادر الغرفة، وساد صمت مطبق لم يقطعه سوى صوت إشعال عود ثقاب لسيجارة جينا، ودُهِشَت ساندرا حين لاحظت أن يديها ترتجفان.

وأعلنت الساعة فوق المدفأة تمام العاشرة، فوقفت وهي تشهق.

ـ يجب أن أتصل بوالدتي، لا بد أنها تتساءل عن سبب تأخري.

فقالت جينا :

ـ الهاتف في غرفة النوم، براد يتكلم كثيراً في الهاتف ويفضّل أن يكون مستلقياً وهو يتحدّث !.

ودخلت ساندرا غرفة النوم لتجد أن ذوق جينا في الديكور بارز هنا مثل بقية المنزل، وجلست على حافة السرير، وطلبت رقم منزلها. ومضت عشر دقائق وهي تتحدث إلى أمها قبل أن تستطيع إرجاع السمّاعة مكانها والعودة إلى غرفة الجلوس، وكان الباب موارباً وسمعت صوت أوليفر مرتفعاً ومنفعلاً على غير عادة :

ـ أنت تجعلين من غيرتك على براد واضحة كثيراً. فهو على كل الأحوال رجل عازب ومؤهّل لأن يخرج مع أية امرأة يشاء.

ـ أنا أعتبر براد شقيقي. ولهذا لا أظن أن أية امرأة تناسبه.

ـ هذا رأيك أنت ولكنه لن يقابل فتاة أجمل من الآنسة لاوسون.

ـ ولماذا تقول هذا؟. فأنت لا تعرف شيئاً عنها.

ـ فتاة تعمل بكد ومشقة خلال الأشهر الماضية، وتتقبل ذلك النوع من الأوامر التي يصدرها ابن عمتك، يجب أن تكون ذات شخصية جيدة جداً.

ـ أوه أنتم الرجال كلكم سواء. دائماً يذهلكم الوجه الجميل.

ـ ولكنني وقعت في حب وجهك.

ـ حسن جداً أنه لم يُصب في الحادثة !.

وسمعت أوليفر يشهق، ثم صوت جينا سريع وهادىء.

ـ أوه يا أوليفر. لم أقصد هذا، أنت تعلم أنني لا ألومك. . أنا. .

ـ لا بأس يا جينا. . انسي الأمر.

وخافت ساندرا أن تبقى لوقت أطول في الخارج فيراها براد وهو راجع من المطبخ فيظن بأنها تتلصص. فتنحنحت، ودفعت الباب.

كان أوليفر يشعل سيكاراً. وجينا تحمل بين أصابعها سيجارة وتقف قرب المدفأة، وتدق بقدمها الأرض، فسألها أوليفر :

- هل أعجب أمك البرنامج؟.

- أجل.. لقد اعتقدت أنني أفضل من..

وتوقفت عن إكمال كلامها، إلاّ أن جينا أكملت عنها :

- أفضل من سوزي باري. وهكذا اعتقدت أنا، أظن الآنسة لاوسون يجب أن تحصل على استعراض خاص لها. ألا تظن هكذا يا أوليفر؟

ولم يرد عليها، فضحكت ضحكة إحراج، وقد سرها دخول براد إلى الغرفة وهو يحمل إبريق العصير وبعض الكؤوس، وزجاجة صودا. وفتح براد زجاجة الصودا فأخذ أوليفر السدادة وأعطاها لساندرا :

- هذه لك، حتى ولو كنت لا تؤمنين بالخرافات فاحتفظي بها كجالب للحظ.

- ولكنني أؤمن فعلاً بالخرافات. وسأستبقيها إلى الأبد.

- ولكن إلى الأبد زمن طويل. ولا لزوم لأي إنسان أن يستخدم هذه الكلمة، بل يمكن أن يقول المرء شيئاً ويطبقه على فترة محددة، للحظة، لثانية من حياته.

وأحست ساندرا بأنه يفكّر بصوت مرتفع، وعلمت أن وراء كلماته أكثر مما تستطيع أن تفهم. وشعرت بالشفقة وهي تنظر إلى وجهه، إلى الخطوط البارزة حول عينيه، والشعر الرمادي الذي يبرز على فوديه. ولكن ما أثار شفقتها أكثر هي تلك النظرة في عينيه، هاتين العينين الشاحبتين المُبهمتين. مما جعلها تفكّر دون سبب بحيوان جريح، وتساءلت مَنْ يا ترى جرح الرجل بهذا العمق. وقال براد :

- تعالوا وليأخذ كل واحد منكم كأسه.

وأقبلوا نحو الطاولة والتقط كُلٌّ منهم كأسه. ورفع براد كأسه وقال :

- نخب ساندرا العصفور المغرّد الجديد.

- نخب ساندرا. .

وابتسمت ساندرا لهم، واستقرت عيناها للحظة أطول على رأس أوليفر ساندرز المحني.

www.elromancia.com

٨ ـ تغني له

تلاشت كل الشكوك التي كانت تراود ساندرا حول نجاحها، عندما قرأت الانتقادات في الصحف التي صدرت صباح اليوم التالي، فقد قال عنها الجميع إنها الفتاة الأكثر احتمالاً للنجاح. وعندما وصلت إلى «ش. ت. م» في ذلك النهار وقف الجميع لتهنئتها. براد وحده الذي لم تظهر عليه الإثارة. وقال بحزم :

ـ كنت أعلم أن هذا سيحدث. وما تحتاجين إليه الآن هو المزيد من الظهور في برامج أخرى وإقامة حفلات لليلة واحدة في المقاطعات وممكن أن تكون هذه مملة ولكن التجربة لا تُثمَّن.

ـ سوف أحصل على كل تجربة ممكنة.

ـ أنا سعيد لهذا !. وهناك شيء آخر حضَّرته لك.

وتقدَّم منها ووضع يده على شعرها. وبالرغم من محاولته أن يبقي صوته عادياً إلاَّ أن الإثارة كانت واضحة فيه :

ـ سوف تسجلين أول أسطوانة لك هذا الأسبوع، وكل شيء مدبر مع شركة التسجيلات البلاتينية.

التسجيلات البلاتينية ! وتأثرت ساندرا بالرغم منها، لأن هذه الشركة هي الأكبر، والأنجح بين شركات التسجيل في البلاد.

ـ وهل يظنون بأنني جيدة بما فيه الكفاية؟.

ـ جيدة لدرجة أنهم يريدون التعاقد معك لثلاث سنوات !. وقلت لهم إنني سأتحدث معك بالأمر. ولكن بكل صراحة لا أنصحك بتوقيع أي عقد مع أيٍّ كان لأكثر من سنة، وفي نهاية هذه السنة تستطيعين فرض السعر الذي تريدين.

ـ سأفعل أي شيء تقوله، لقد وعدتك بهذا منذ البداية.

ـ جيد !.

وأنزل يده عن رأسها وعاد إلى الجلوس خلف طاولته. ولم تندهش عندما عاد إلى دفع كرسيه إلى الوراء، ثم بدأ يذرع الغرفة.

ـ لم أكن أنوي أن أقول لك هذا بعد. . ولكنني. .

وتردد قليلاً ثم تابع بسرعة :

ـ أخشى إذا بقيت صامتاً أن أخسرك أمام شخص آخر. فمنذ مدة وافقت على أن أرعى مستقبلك، ولكن المشكلة هي أنني لا أنوي أن أتوقف عند هذا فقط. رؤيتي لك كل يوم تجعلني أعرفك أكثر، وهذا ما يجعلني أرغب في. . .

وتقدَّم منها ليمسك بيديها :

ـ أوه. . . اللعنة. ساندرا أنت لست غبية، ويجب أن تعرفي ما أحاول قوله، أنت تستحوذين على أفكاري ليل نهار، في الصحو والنوم، ولا أستطيع التفكير بسواك.

واستمعت إليه ساندرا بحرج متزايد. فلفترة طويلة كانت تعرف أن براد ليس منيعاً أمامها، ولكنها لم تكن تدرك أيضاً عمق مشاعره.

ـ هل أنت واثق بأنك لست مشوشاً بين الشخصية التي خلقتها بنفسك وبين الفتاة التي أكونها في الحقيقة؟.

ـ لا !. ومع ذلك فما هي الفتاة التي أنت هي؟. فبعد بضعة أشهر ستكون ساندرا لاوسون الشهيرة لصيقة بشخصية ساندرا لاوسون الحقيقية.

وجذبها إليه :

ـ منذ اللحظة التي شاهدتك فيها عرفت إلى أي مدى ستصلين، ووقعت في حبك منذ ذلك الوقت.

ـ بي أنا أم بما كنت تتوقعه مني؟.

وما أن خرجت منها هذه الكلمات حتى أدركت مدى قساوتها. ولكن لم يكن هناك شيء يستطيع تغييرها، وانتظرت بقلق أن يغضب ولدهشتها بدا عليه السرور.

ـ هذا سؤال جيد يا حبيبتي، وجدير بالاهتمام !. أحد الأشياء التي

أحببتها فيك هو روحك المتحدية، ولو أنها حامية جداً وتلسعني !. ولا أنكر بأنني أحببت ما أعرف بأنك ستكونين عليه. . ولكنني أيضاً أحببتك كما كنت. . .

ـ أرجوك. . لا تتابع. . لا فائدة منه. فأنا لا أحبك ولا أستطيع التظاهر بحبك.

ـ أعلم أنك لا تحبينني، ولكنك لا تحبين شخصاً آخر أيضاً. ولذا أردت أن تعرفي مشاعري نحوك. أردتك أن تحسي بي !.

وتقدم نحوها وحدّق إلى وجهها، دون أن يلمسها، ومع ذلك فقد كان قريباً منها حتى أنها شعرت بدفء أنفاسه.

ـ لا تخافي من أن أجعل من نفسي مصدر إزعاج لك يا ساندرا، فلن أستمر في القول لك إنني أحبك، ولن أستمر في سؤالك إذا كنت تحبينني. وفي الواقع إنه شيء جيد أن لا تحبينني.

ـ ولماذا تقول هذا؟.

ـ لأنك لو كنت تحبينني، لما تمكّنت من الابتعاد عنك، وعندها سيكون من الصعب علينا أن نُبقي الأمر سراً !. أترين. . يجب أن يكون الأمر سرياً. لأنه إذا عرف الناس أنني أحبك فلن أستطيع إطراءك كمغنية، إذ أنهم سيعتقدون أنني متحيزٌ لك، لذا أطلب منك أن تتذكري ما قلته : أنا أحبك يا ساندرا، وسأنتظر إلى أن يحين الوقت المناسب. .

ومع أنها قدّرت أعذاره إلاّ أنها لم تستطع إلاّ أن تستاء لاعتباره نجاحها أكثر أهمية من حبه لها. ولكن ألا يبرهن هذا أنه يحبها بأنانية؟. أم أنه يبرهن فقط أنه يحبها لنجاحها؟. وقدرت أن الأمر خليط من الاثنين. فاهتمامه بها بدأ مع رغبته في تأمين منجزاتها المهنية، ولكن، وسريعاً جداً، أصبح متورطاً شخصياً، وتورطه هذا كان سبباً لأن يخصّص مزيداً من الوقت لها.

خلال الأشهر القليلة التي تلت كانت ساندرا مشغولة في تطبيق البرنامج الذي وضعه لها براد، حتى أنها لم يكن لديها وقت لأفكارها الخاصة. وبعد ظهورها في استعراض سوزي باري، انهالت عليها

العروض للظهور في برامج تلفزيونية أخرى إلاّ أن براد كان يكره أن يدعها تظهر تكراراً، على الأقل حتى تحصل على استعراضها الخاص، وهكذا فضّل أن يرسلها خارج لندن لتقديم استعراضات في الأقاليم وهذا الجزء من عملها لم تستمتع به ساندرا كثيراً، فالبلدات الصغيرة في الأقاليم كانت تشبه بعضها، حيث تمضي بضع ساعات، وفي نهاية الاستعراض تعود إلى الفندق، وتجلس في قاعة الاستقبال، لتجري المقابلات الصحفية. قالت له في إحدى المناسبات متذكرة :

ـ العاملون في الحقل الفني مملين، فكل ما يتحدثون عنه هو الاستعراضات الفنية !.

ـ ألا تحبين ما تقومين به !. أراهن لو أن لديك المال الكافي لعدت إلى دروسك مع البروفسور فالميرو.

ـ أشك في قدرتي، أظن أنني أفسدت صوتي للأبد بغنائي هذا النوع.

ـ صوتك أفضل من أي وقت مضى، لقد أتيت إلى برنامج الأحجيات أملاً في كسب المال الذي يكفي لمتابعة دروسك، وأظن أنك بعد ستة أشهر سيكون بإمكانك شراء معهد خاصّ بك !.

ـ ما هذه المبالغة الإيرلندية !.

ـ لا، إنها ليست مبالغة !. ما أقصده هو أنك عندما تحصلين على المال هل ستكونين واثقة بأنك لن ترغبي في العودة إلى غناء الأوبرا؟

واغمضت ساندرا عينيها، فسؤاله يمثل معضلة لم تكن قد فكرت فيها بعد، ولكن عليها أن تفكر بها، فلن تستطيع الهرب من نفسها أكثر من هذا ولكنها بألم، وعلى مضض، توصلت لاقتناع بأن الإنسان مهما كان يرغب به، فلن يستطيع إعادة عقارب الساعة إلى الوراء، وعلمت بأنها حتى لو أعطيت الفرصة، فلن تعود إلى سنوات الدراسة الشاقة، على أمل أن تصبح نجمة أوبرا.

ـ لن أستطيع العودة إلى الوراء يا براد حتى ولو ان لديّ المال اليوم لن أستطيع.

ـ حسناً، هذا يريح بالي !. فقد لا تحصلين على المال اليوم، ولكن أشعر بعمق بأنه بعد عدة أشهر ستكونين على رأس السلم.

فضحكت وردت عليه :

ـ ليس بضعة أشهر، ربما بضع سنوات.

ولكن كلام براد كان يحمل حقيقة أكثر مما كان يدرك. فبعد ثلاثة أسابيع تلقت دعوة مستعجلة للحضور إلى الاستديو وكان ذلك في الساعة التاسعة من صباح يوم الأحد، في حين لا زالت في الفراش، وما كادت ترتدي ثيابها حتى استقلت سيارة أجرة باتجاه «ش. ت. م» وكان براد ينتظرها عند المدخل. وعاجلها بالقول :

ـ سوزي باري نُقلت إلى المستشفى لالتهاب الزائدة، وعليك أن تحلي مكانها في الاستعراض الليلة.

ـ ولكني لست مستعدة، لا أستطيع فعل هذا !.

ـ بالطبع تستطيعين. ولماذا تظنين أنك كنت تغنين في أنحاء البلاد، أليس للتحضير لليلة كهذه؟.

ـ ولكنني لم أتمرن.

ـ لقد تمرنت ما يكفي !. لأجل السماء يا ساندرا، كل ما عليك فعله هو أن تقفي أمام الكاميرات وتغني !.

ولم تتمالك نفسها من الضحك، براد يصوّر الأمر وكأنه سهل، ولكنه كان سيغضب لو سمع منها هذا الكلام قبل ستة أشهر.

عندما دخلت الاستديو، كان التمرين على برنامج سوزي باري قد بدأ، ولكن ما أن رأت الأوركسترا الضخمة والراقصات يتحضّرن لرقصهن بإشراف مدير الرقص، والكورس الرجال الذي كان يدعم غناء سوزي باري، حتى أحست بالخوف يتضاعف، فلن تستطيع تحمّل عبء مثل هذا الاستعراض الضخم بمفردها. . أبداً !.

واستدارت لبراد لتُبدي آخر احتجاج لها، ولكن نظرة واحدة إلى وجهه، وبشرته الشاحبة وعينيه المشتعلتين بالحرارة أدركت أن لا مزاج عنده للاستماع إليها، وخلع معطفه وفك ربطة عنقه، وأرخى زر ياقته

وصرخ :

ـ الجميع إلى المسرح. . ساندرا ستراجع النمرة الافتتاحية ستوفرين عليّ المشاكل لو استطعت أن تؤدي أكبر عدد من أغاني سوزي، وكل الرقصات المرافقة والموسيقى جاهزة.

ـ أريد أن أقدّم إحدى أغنياتي أيضاً.

ـ طبعاً. هناك عشر دقائق خاصة لك عند نهاية الاستعراض.

وهزت رأسها برضى كامل. وهي واثقة أن براد سيفعل الأفضل لها وله أيضاً. لأن نجاحه مرتبط بنجاحها.

وتمرّن الجميع طوال النهار، وعند الخامسة اتصل أوليفر ساندرز هاتفياً، يسأل عن تقدم العمل في الاستعراض، وعاد براد بعد أن تلقّى المخابرة وعيناه تلمعان :

ـ «أ. س» يقول بأنّ عليّ استبدال الاستعراض بفيلم إذا كنت غير واثق من نجاحه. وقلت إن عليه أن يشاهد البرنامج بنفسه ويرى !

واستدارت مبتعدة دون أن تجيب. إذاً لا يزال أوليفر ساندرز يشك في قدراتها !. وهل سيستبدل البرنامج بفيلم حقاً !. وكلما فكرت بالأمر أكثر شعرت بالغضب أكثر. والغضب أعطاها الطاقة لأن تتابع التمرين عندما رغب الجميع بالتوقّف. طاقة جعلتها ترفض العودة إلى المنزل لترتاح. وقالت لبراد :

ـ إذا غادرت الاستديو سوف أفقد شجاعتي، لنراجع آخر نمرة لي ثانية.

وعندما دخلت ساندرا الاستديو تلك الأمسية كانت تعرف أنها لم تكن بهذا الجمال من قبل. كان فستانها من الساتان ذو اللون «الأكوامارين» الأزرق المخضّر دون أكمام وكأنه مليء بحياة كاملة، بحد ذاته. قسمه العلوي كان بسيطاً وملتصقاً بجسدها، ولكنه من أسفل الخصر كان فضفاضاً مسترسلاً حتى الركب. وقال براد معلّقاً :

ـ لم أشاهدك من قبل بهذا الجمال !.

وتجاهل حشد التقنيين من حولهما فعانقها، وهزها بلطف قائلاً :

ـ استيقظي أيتها الجميلة النائمة، ستكونين على الهواء بعد خمس دقائق !.

ودون أن تكون واعية بما يجري من حولها، انتظرت اشتعال الضوء الأحمر. وفجأة أحست بصورة أوليفر أمامها كما شاهدته أول مرة التقيا فيها. . كم ظلته يومها قاسياً ومستبداً. وصاح أحدهم :

ـ عشر ثوان ويبدأ البرنامج.

سحبت ساندرا نفساً عميقاً، وتقدَّمت إلى الأمام.

أول خمس دقائق من البرنامج كان الأسوأ لها، ولكن بمتابعة البرنامج لم تعد تشعر بأي خوف. فبهذه الساعة كانت مسؤولة عن برنامج خاص بها، في هذه الساعة كانت أمام نظارة تريد أن تأسرهم، وكل أغنية غنتها كانت تنبعث من قلبها وروحها.

ولآخر عشر دقائق، كان المسرح لها بالتمام، ولم تستطع منع نفسها من التفكير بأوليفر ساندرز. فللمرة الأولى لم تكن تغني لمشاهدين بالملايين غير معروفين، ولكن لشخص محدَّد، رجل يراقبها منتقداً، ولم يكن يؤمن بأنها ستمتلك الشجاعة في الاستمرار، ستجعل أوليفر ساندرز يبتلع كلامه ولو أن هذا آخر شيء تفعله في حياتها !. ورفعت رأسها إلى الأعلى، وغنت الكلمات الافتتاحية للأغنية الأخيرة، وصوتها يعلو. . ويعلو مع كل نغمة، التماعة ضوء، وسيلان ذهب. وأخيراً انطفأ النور الأحمر، ولم يعودوا على الهواء وبدأ كل التقنيين والموظفين في الاستديو بالتصفيق ووقفت ساندرا مكانها، والدموع تتدفق على وجنتيها، إلى أن أسرع براد إليها، وقال بصوت يرتجف :

ـ كنت أعلم بأنك قادرة على هذا العمل، أنت مجنونة يا ساندرا، من الآن وصاعداً لن يكون هناك تطلُّع إلى الخلف !.

ولم تجب. فالنرفزة والغضب قد أرهقاها طوال اليوم. وتنهَّدت مسترخية وكأنها دمية من غير خيوط. وقالت بصوت يرتجف :

ـ أريد العودة إلى المنزل. . أريد العودة إلى المنزل.

وحدَّق إليها براد، ثم عبس في وجه الناس الملتفين حولها في

الاستديو، وقادها بلطف إلى الخارج، وبصمت أحضر معطفها وبصمت قاد سيارته إلى منزلها، ورفض عرضها بأن يتناول معها القهوة. وقال بحنان :

ـ أنت مرهقة يا حبيبتي، وأنصحك بحمام ساخن والنوم فوراً. سأتصل بك في الصباح بعد أن أقرأ الصحف. وأريد عندها أن أتأكَّد بأنك حية !.

ـ حية؟.

ـ عندما عانقتك في الاستديو كنتُ مثل شقيقك، في المرة القادمة أريدك أن تفكري بي كحبيبك.

وقبل أن ترد، تركها ونزل سلم منزلها عائداً إلى سيارته. ودخلت إلى المنزل وأسندت نفسها على الباب. بإمكان براد أن يصبح مشكلة أمامها. وفركت عينيها بيديها، وهي تعلم أن تعبها لن يدعها تفكر بصفاء.

استلقت ساندرا على السرير وقد شربت كوب شاي، وبدأت تشعر بالتحسن. في هذه اللحظة رن جرس الهاتف، ما من شك أنه براد يتصل بها ليتأكَّد بأنها اتَّبعت تعليماته. ولكن الصوت كان صوت أوليفر ساندرز، فارتجفت يدها.

ـ هل هذه أنت آنسة لاوسون؟.

ـ نعم. . .

ـ جيد. . أتمنى أن لا أكون قد أزعجتك. ولكنني أريد أن أبلغك كم استمتعت بالبرنامج.

ـ أنا سعيدة لهذا. . لقد قال براد إنك لست واثقاً من نجاحي، وانك كنت تريد عرض فيلم بدل البرنامج !.

ـ لم يكن لديه حق أن يقول لك هذا الكلام.

ـ لقد أخبرني بذلك لأنه كان متكدراً.

ـ هذا غباء منه !. كان عليه أن يعرف لماذا قلت ذلك؟.

وساد صمت قصير. وعندما لم تقل شيئاً، تابع كلامه :

ـ أعتقد بأنك لم تفهمي لماذا قلت هذا أيضاً؟.

ـ لا. . وأتمنى أن تقول لي.

ـ لم يكن هذا لأنني أشك في قدراتك. ولكنني فقط لا أريدك أن تقومي بهذا النوع من الاستعراضات دون تمارين كافية.

وأصبح صوته أعمق :

ـ نجاحك يهمني جداً، بحيث أنني كنت مستعداً لعرض فيلم بدل رميك إلى أنياب الأسود !. .

وسرها ما سمعته، وأدركت فوراً أنه يقول الحقيقة، فالناس يفضّلون مشاهدة مغنية غير مدرَّبة على أمل أن تفشل، على فيلم شاهدوه عدة مرات. كم كانت غبية لعدم تفهمها لأسباب أوليفر ساندرز، ولكن لماذا تتفهم أسبابه؟. ولماذا تفترض بأنه فكّر بها، أو حتى أنه يهتم بمستقبلها؟.

ـ أنا مسرورة لقولك هذا لي. ولكنني أظن أن نجاحي عائد جزئياً لك، كنت مصممة لأن أظهر لك أنني لن أفشل !. حتى أنني فقدت أعصابي !. .

فضحك وقال :

ـ أنا سعيد إذن لأنك أسأت فهمي !. هل أنت في الفراش يا ساندرا؟.

ـ أجل. . .

ـ أحسدك. لدي دزينة من الناس في غرفة الاستقبال ينتظرون وصولي لتناول العشاء.

ـ إذاً، الأفضل أن لا أؤخرك.

ـ أعتقد هذا، بعض الأحيان أكره العالم الذي صنعته لنفسي. أتعرفين ماذا أحب أن أفعل الآن؟. أن أختفي في شاليه أملكه في سويسرا وأقفل الراديو والتلفزيون والتلفون.

ـ سوف تضجر بعد يوم واحد !.

ـ لن أضجر لو كان برفقتي الشخص المناسب.

ومرة أخرى كان مُتعَب حقيقة مثله مثل بقية الرجال؟. وإذا كان كذلك هل سيفكر بها ثانية. قد تكون واحدة من مغنياته، ولكن حياتها

الخاصة ملك لها، ولا تنوي أن تتورط معه.

ـ عمت مساءً آنسة لاوسون، وأحلاماً سعيدة.

ـ شكراً لك سيد ساندرز.

وأحسَّت بالدفء. وبإحساس لم تفهمه، ولا تريد أن تفكّر فيه.

www.elromancia.com

٩ ـ تنام على كتفه

بين ليلة وضحاها وجدت ساندرا نفسها ناجحة، والبرنامج الذي خططه لها براد منذ أشهر طويلة وُضع الآن بانتصار قيد التنفيذ. إنها اكتشاف خاص لـ «ش. ت. م» إلاّ أن هذا لم يمنع الشبكات الأخرى للتلفزة من محاولة عرض خدماتها، وقد علموا أن براد أدامس هو وراءها، عرضوا عليه وظائف مغرية لارتباط حضوره بحضور ساندرا. ولم يقل براد هذا لساندرا ولكن بيري سمع بعض ما يُشاع وجمعهما معاً لتصبح قصة كاملة، وقال لها في إحدى الأمسيات خلال تناولهما الطعام في المنزل :

ـ يستطيع براد الذهاب إلى شركة أخرى وتحديد المبلغ الذي يريده. وما يصدمني هو لماذا لا يقبل؟.

ـ ولماذا يقبل؟. ساندرز نسيبه لذا لن يحصل على أفضل.

ـ وظيفة براد جيدة طالما هو جيد. «أ. س» لن يدع شيئاً يوقفه عن طرد أي إنسان إذا لم يكن يريده حتى ولو كان قريبه. لذلك أعتقد أن على براد أن يجرّب حظه في مكان آخر!.

ـ وماذا تعني؟.

ـ لا تقولي بأنك لا تعرفين. براد يرغب في السفر إلى أميركا. وهذه معلومات معروفة، لأنها الطريقة الوحيدة لمنع جينا الجميلة من التدخّل في حياته، وربما في حياتك!.

فرمته ساندرا بمنديلها، وأخذ يضحك، فصاحت بهما والدتهما :

ـ توقفا عن هذا يا أولاد!. أنتما أسوأ من بعضكما.

وانتهى الحوار بالضحك. ولكن ساندرا بقيت تتذكره، وتتساءل عما إذا كان الإخلاص هو حقاً ما يبقي براد في الشركة، أم أنه يشعر بأنه يستطيع التقدُّم أكثر تحت رعاية ابنة خاله... لا، من الواضح أن أميركا هي هدفه. ولكنها تعلم أنه إذا ذهب إلى هناك فسيتوقع منها أن تذهب

معه. ولم يكن قد ذكر شيئاً عن مستقبله منذ عدة أشهر، ولا فائدة من أن تقول إنها لن تذهب معه حتى يطلب منها ذلك بنفسه!.

أهم نقطة في جدول أعمالها هي متابعة الضغط على أغنياتها التي غنتها في استعراض سوزي باري، إلى أن توصلت إلى تسجيل اسطوانات خاصة بها. حيث وجدت أن الأمر ليس سهلاً. وقال لها براد :

ـ لن يكون هناك تلاعب في الصوت لك. أريد الجمهور أن يسمع صوتك كما هو. أتذكرين ما قلته بأنك لست مغنية زائفة يا ساندرا؟.

ـ أنت لا تدعني أنسى.

ـ أنا آسف إذ بدوت لك ملحاحاً، الأمر أنني أريد أفضل ما لديك.

ـ أعلم هذا ولكن، أحياناً أحب أن أحكم على أدائي بنفسي، أستطيع أن أعطي الأفضل إذا كنت أثق بنفسي، وإذا سلبتني هذا...

ـ معاذ الله يا ساندرا، سلب ثقتك بنفسك آخر شيء أفكّر به!. أريد إعطاءك ثقة أكبر. أريدك أن تؤمني بنفسك كمغنية وكامرأة. يا عزيزتي هناك أشياء كثيرة أود أن أقولها لك عندما..

ولم يكمل قوله، وبالرغم من تلهفها لمعرفة ما سيقول إلاّ أنها قررت أن لا تسأل.

العملية الجراحية التي أجريت لسوزي باري أبقتها بعيداً عن استعراضها لمدة شهر، كانت ساندرا أثناء ذلك تأخذ مكانها. وما أن حل آخر استعراض لها حتى علمت بأنها ستحصل على سلسلة برامج خاصة لها في موسم الخريف وقال لها براد :

ـ إنه قرار «أ. س» ويريد توقيع عقد معك لثلاث سنوات.

ـ كنت أعتقد بأنني ملتزمة معه.

ـ ألا تذكرين قولك بأنك ستتركين الأمر لي؟. حسناً، لقد قررت أن لا أفعل. لم أكن أريد ربطك قانونياً مع أي كان إلى أن أعرف قوة إمكانيات كسبك. وأنا لا أعرف هذا حتى الآن. نصيحتي لك أن توقعي على سلسلة برامج لثلاثة أشهر، ثم انتظري لتري النتائج.

ـ حسناً، افعل ما تشاء.

ـ أنت كثيرة الثقة بي ساندرا.

ـ ولِمَ لا؟. فأنت تريد الأفضل لي.

ـ أعرف هذا. . ولكنني. . ولكنني قد أسمح لعواطفي أن تطغى على حكمي.

ـ لو كنت أظن هذا لما تركتك تقرر أيّ شيء لي. أولاً، والأهم، هو أنك رجل بارع بالعمل الفني، وتضع عملك هذا قبل أي شيء.

ـ لا تنجنبي النظر إلي فأنت، تعرفين ما سأقول، ولن تنجحي في صرفي عنه، أنا أحبك يا ساندرا. . أحبك!.

ـ براد، لا فائدة من الأمر.

ـ ولماذا؟. أنت لا تحبين أحداً آخر، أليس كذلك؟.

ـ أنت تعرف الرد، ولكنني أيضاً لا أحبك.

ـ إذاً لقد حان الوقت لتحبينني!. أنت فتاة ناضجة الآن.

ـ ناضجة بما يكفي لمعرفة مشاعري. لا أريد أن أؤلمك، ولكن عليّ أن أكون صادقة معك، لقد ساعدتني للنجاح وسأبقى دائماً مدينة لك بالجميل، ولكن. . . ولكنني. .

وتوقفت عن الكلام محرجة، فسار نحو المدفأة وقال :

ـ تريدين أن تشعري بأنني لن أستغل عرفانك بالجميل كدافع لإجبارك على حبي؟.

ـ لقد قلت هذا بقساوة، ولكن، نعم هكذا هو الأمر بدقة.

ـ لست بحاجة أبداً إلى إجبار أية امرأة، ولا أنوي أن أفعل الآن. لقد أحببتك لحظة رأيتك، وانتظرت. وأنا مستعد للانتظار أكثر.

وهي مستلقية في فراشها تلك الليلة تاقت لتصديق براد، ولكن بطريقة ما شعرت بأنه يكذب عليها، فلو أنه اقتنع بألاّ يكونا متحابين فليس بسبب مستقبلها المهني بقدر ما هو بسبب شيء آخر، ولكن ما هو؟. إنه خوفه من جينا، وغيرت موضع وسادتها بانزعاج وحاولت أن تغفو. .

بعد أسبوع من هذا، أقامت «ش. ت. م» حفلة استقبال صحافية،

والتقت ساندرا بمعظم نُقّاد التلفزيون، إضافة إلى محررين صحافيين لامعين. ووسط كل هذه الإثارة، أعلن براد بأن ساندرا قد دُعِيَت للظهور في برنامج ماكس أريكسون. وأصابت الدهشة ساندرا، ماكس أريكسون، كان أشهر فنان تلفزيوني أميركي، يطمح كل فناني بريطانيا بالظهور في برنامجه. وقال لها براد والناس متحلقون حولها يهنئونها :

ـ هذه هي الفرصة التي كنت أنتظرها، وإذا نجحت في استعراض ماكس فلن يكون هناك تراجع لكلينا.

ـ ومتى عليّ السفر إلى نيويورك؟.

ـ لقد حجزت لك يوم الاثنين.

ـ وهل سجلتني في الاستعراض؟.

ـ لقد كان مدير أعمال ماكس أريكسون هنا منذ أسبوعين وشاهدك تقفين مكان سوزي. وأصر على أن تشاركي معهم.

ـ وهل كنت تعلم طوال هذه المدة؟. أتمنى لو كنت قلت لي من قبل. أريد شراء بعض الملابس.

فقطّب جبينه وقال :

ـ لقد نسيت الأمر تماماً.

ـ أنا سعيدة لنسيانك شيء ما. . فهذا يجعلك من البشر.

ـ ولكنني من البشر.

وضغط علي يدها، وأردف :

ـ مستقبلنا يقترب يا ساندرا مع كل دقيقة.

طائرتها كانت ستقلع عند التاسعة صباح الاثنين، ولانشغال براد ببرنامج الأحاجي، لم يستطع مرافقتها إلى المطار. ولكنه لم ينسَ أن يُعلِم الصحافة، وهكذا طلب منها اتخاذ أوضاع ملائمة للتصوير. وخرجت مجموعة من النساء من قاعة الجمارك، وأخذن يشترين من السوق الحرة، لا بُدّ أنهن أميركيات. خلفهن، لمحت رجلاً طويلاً عريض الكتفين. وضاقت عينا ساندرا، لا يمكن أن يكون أوليفر ساندرز. . ولكنه كان هو! وأشاحت بنظرها عنه بسرعة، والدماء تضج في أذنيها، ولم تعد تسمع ما

يُقال حولها، ولكن هذا لم يمنعها من سماع صوت عميق ينادي باسمها، فرفعت عينيها لتنظر مباشرة إلى عينيه الرماديتين، وقال :

ـ كنت أعلم أنك مسافرة اليوم إلى أميركا. ولكنني ما كنت أحلم أن نكون على نفس الرحلة.

ـ وهل أنت ذاهب إلى نيويورك أيضاً.

ـ أجل، أسافر هناك كل بضعة أشهر.

ونودي على الركاب المتوجهين إلى الطائرة، وفي غمرة الذهاب إلى الطائرة نسيت ساندرا حرجها من وجوده، وبدا لها من الطبيعي أن يساعدها داخل الطائرة على ربط الحزام والتأكُّد من راحتها، وبدا وكأنه ضجر من هذا الروتين، فسألته عن السبب، فأجاب :

ـ لست ضجراً. أحب كل شيء أفعله مهما تكرر، وإلاّ فلن أفعله !.

ـ تقول إنك لا تضجر. ولكن ألا تتمنى أحياناً أن ترمي كل شيء وراءك وتطلق لنفسك العنان.

ـ يا إلهي لا. سأموت بعد سنة لو فعلت هذا، فعملي هو راحتي. وماذا عنك؟. أتحبين أن تتخلي عن مستقبلك المهني؟.

ـ سأفعل لو تزوجت. فلا أعتقد أن الزواج والعمل يتوافقان.

ـ أجل. خاصة نوع عملك. فلن تستطيعي رعاية زوج وبيت وأنت تجولين في العالم طولاً وعرضاً.

ـ ومع ذلك فالعديد مِمَّنْ يعملون في هذا المجال يفعلون.

ـ ربما. ولكنني لا أنظر إليك كفنانة.

ـ سأعتبر هذا إهانة. ولكنني قد أقبلها كإطراء !.

وضحكا معاً، وآخر ما تبقّى من الرسميات بينهما اختفى.

ـ أنا سعيد لاحتفاظك باسمك الحقيقي، لأنني كنت سأكره أي اسم مزيف.

ـ لم تواجهنا هذه المسألة، مع أن براد حاول أن يغير كل شيء، فيّ. .

ـ ومع ذلك فقد نجحت معه. . أليس كذلك؟.

ـ أجل، وأنا مدينة له بالكثير.

وهز أوليفر ساندرز رأسه قائلاً :

ـ براد منتج ذكي. . أفضل مَنْ عمل لديّ. . ساندرا لاوسون. . اسم جميل.

ـ أنا سعيدة لأنه أعجبك سيد ساندرز.

ـ أقترح عليك مناداتي باسم أوليفر.

ـ لا أستطيع. . ليس الأمر مناسباً.

ـ ولكنه يناسبني. . قولي. . هيا يا ساندرا، قولي. .

فقالت بسرعة :

ـ أوليفر. . أوليفر. . أوليفر.

فضحك وقال :

ـ جيد. . على الأقل أعرف بأنك لن تنسيه بعد الآن !.

بعد تناول وجبة سريعة، تبعها بعد حديث طويل، وجبة الغذاء، استسلمت ساندرا للنوم، وأفاقت لتجد نفسها مستندة إلى كتف أوليفر وشعرها الكستنائي منسدل على سترته.

ـ لماذا لم توقظني؟.

ـ لأن النوم يفيدك. فأمامك أسبوع مرهق ولا أريدك أن تخذلي «ش. ت. م» !.

ـ إذاً كان كتفك من أجل الشركة؟.

ـ بل كان لدواعي سروري.

وحطت الطائرة في مطار كينيدي متأخرة خمس عشرة دقيقة عن موعدها، وبهدوء وثقة رافقها أوليفر ساندرز إلى خارج الجمارك الأميركية، وتقدَّم رجل نحيل لاستقبالها وقال بابتسامة :

ـ الآنسة لاوسون؟. تبدين تماماً كصورك في الصحف !. أنا أدي براند ممثل «ش. ت. م» هنا، ولدي سيارة في الخارج لتوصلك إلى الفندق !

ونظرت باتجاه أوليفر، لتشاهده، بخيبة أمل، يتحدث إلى رجلين من

www.elromancia.com

الواضح أنهما قدما لاستقباله، وأحسَّ بأنها تنظر إليه، فرفع رأسه وابتسم لها، فقالت :

ـ كنت سأعرض عليك توصيلك.

ـ برنامجي هنا مضغوط لدرجة أنه عندي اجتماع في الطريق بين المطار ونيويورك. أتمنى أن تتمتعي بإقامتك هنا، الوداع وحظاً سعيداً.

وبينما هي تصعد إلى السيارة، علمت بأنها لا تريد من أوليفر ساندرز أن يفكر بها كأملاك خاصة بشركته. . بل أرادته أن ينظر إليها كامرأة وأن يشعر بها بنفس الطريقة التي تشعر هي به.

١٠ ـ شفافة كالزجاج

حُجِزَ لساندرا في فندق «شيري نيذرلاند» أحد أفخم وأغلى فنادق نيويورك. ولم تكن لتعتقد أن مغنية ستظهر في برنامج ماكس أريكسون لها مثل هذه الأهمية، ولكنها لم تعلّق، وأخذت تُحدِّق إلى من حولها وهي تتبع أدي براند فوق السجاد السميك نحو جناحها. باقة زهر كبيرة كانت تحتل الطاولة في صدر الغرفة، وعلى الأخرى زجاجة شراب فخمة وعدة كؤوس، وابتسم أدي لها وقال :

ـ الأزهار من ماكس أريكسون، والشراب مني !.

فابتسمت وأجابت :

ـ سمعت كثيراً عن كرم الضيافة الأميركي، ولكنني ظننت الأمر مُبالغ فيه إلى أن تحققت الآن بنفسي !.

ـ سيُدهشك حسن ضيافتنا عندما تسنح لنا الفرصة، وأود أن أعرف ما تحتاجين إليه. لقد كتبت رقم هاتفي على بطاقة قرب الهاتف.

ـ لقد فكَّرت بكل شيء أليس كذلك؟.

ـ هذا عملي. . لم أكن أعرف بأنكِ مسافرة مع «أ. س».

ـ ولم أعرف هذا بنفسي كذلك.

ـ آسف. . أنا أتحدث إليكِ في وقت تحتاجين فيه إلى حمام وراحة.

ـ فعلاً أنا تعبة، وسأكون تعبة أكثر عند المساء.

ـ بالتأكيد. . لقد تجاوزت الساعة وقت شرب الشاي، ولكن هنا لا يزال الوقت ظهراً، وأمامكِ بعد الظهر والمساء بكامله لذا أقترح عليك الراحة الآن.

ـ وما هو برنامج عملي؟.

ـ لن تستطيعي مقابلة ماكس قبل منتصف الأسبوع، لذا حدَّدت لك موعداً معه يوم الأربعاء. ولكنك ستقابلين مديره، فهو من يقوم بالأعمال اليومية في الاستعراض، وسترينه اليوم إضافةً للمنتج، وهو من

www.elromancia.com

سيرعاكِ !. وهو شاب رديء الطباع وعنده القرحة، ولكنه عبقري في عمله. وسوف يُراجع أغنياتكِ معكِ ويُحضِّر كل الترتيبات لظهوركِ، وفي المساء يرغب رعاة البرنامج في مقابلتكِ.

وتجهَّم وجه ساندرا وهي تقول :

ـ الأمر مختلف عندنا، أصحاب الإعلانات يستطيعون شراء دقيقة أو دقيقتين من وقت البرنامج ولا دخل لهم في مسار البرنامج.

ـ يبدو هذا لي كالجنة، فهنا، أصحاب الإعلانات يستطيعون طرد أيّ إنسان لا يحبونه !.

وسار نحو الباب قائلاً :

ـ أقترح عليك الراحة، خذي منوماً إذا لزم الأمر، ثم اطلبي طعامك إلى هنا. . سأتصل بكِ حوالي الثالثة والنصف، هل لديك حبوب منومة؟.

وهزت ساندرا رأسها بالنفي، ودُهشت عندما أخرج علبة من جيبه وهزها فتساقطت حبوب خضراء قدَّمها إليها قائلاً :

ـ خذي حبة مع بعض الماء وأنتِ في الحمام، وعندما تخرجين ستكونين جاهزة للنوم.

وهي تنزل بكسل في المغطس، كانت تفكر بالمسافة التي قطعتها ثلاثة آلاف ميل في وقت قصير. وهي الآن في بلد مختلف تماماً لا تعرف فيه أحداً، وفكرت للحال بأوليفر، وأملت بلهفة في أن تلقاه. وغزت الحرارة جسدها، حرارة لا علاقة لها بالمياه الساخنة في المغطس، وأسرعت بالخروج، وأخذت تجفف نفسها. وتمددت على السرير، دون حراك، وقلبها يخفق بشدة والعرق ينضح من جبينها. ولكن مهما كانت المياه ساخنة فلا يمكن أن تسبب ما تشعر به الآن، ودون إرادة منها، ودون إدراك، انفتحت أمامها رؤية عاطفة كانت قابعة في عقلها الباطني حتى هذه اللحظة : أنها تحب أوليفر ساندرز ! تحب الرجل الذي يعلو عليها كثيراً، وكأنه النجوم ليس لأنه فقط صاحب «ش. ت. م»، بل لأنه متزوج. «كيف لي أن أحب رجلاً بالكاد أعرفه؟. رجل لم أتحدث معه

أكثر من ساعات؟. » ومع ذلك فالحب لا يخضع للمنطق، ولا حاجة به إلى أسباب كي يظهر، ورفعت غطاء السرير، واندست بين الشراشف، وأخذت تفكر به، بلقائهما الأول بلقائهما في شقة براد، باللحظات القليلة التي قضياها معاً على الشرفة في منزله الريفي، وأخيراً بالساعات معاً في الطائرة. وفكرت ببراد، وكيف أنها قالت له منذ مدة وجيزة إنها لا تحب أحداً !. وكالعادة، التفكير ببراد يذكِّرها بجينا. وارتجف جسدها من الغيرة. . فجينا زوجة أوليفر ! وصرخت.

ـ يا إلهي. . لا أستطيع التحمُّل. . لا أستطيع !.

إنها امرأة تحب، امرأة لا أمل لها أن يستجاب لحبها.

رنين الهاتف الملحاح أيقظها، فالتقطته، وقد أدركت أن حبة المنوم قد أخذت مفعولها دون أن تلاحظ. وقال لها أدي براند :

ـ ارتدي ثيابك بأسرع وقت ممكن، سأنتظركِ هنا في الفندق. وسأطلب لكِ بعض السندوتشات. .

بعد عشرين دقيقة، كان التاكسي يُسرع بهما نحو الاستوديو. وعندما قابلت، مدير الملابس، ومدير أعمال ماكس أريكسون، ومنتج الرقصات، توصَّلت إلى استنتاج بأن كل واحد هناك له مستوى فني مرتفع، يزيد كثيراً عن مستوى الذين قابلتهم من قبل، ومع أن التلفزيون قد بدأ في إنكلترا قبل أميركا بكثير، فإن ما يظهر الآن أن المبادرات الفردية قد تفعل الكثير. المبادرات والمال، لأنها استطاعت أن ترى أن المال لا يحسب له حساب في برنامج ماكس أريكسون، على الأقل. وعادت إلى الفندق، وقال لها أدي وهو يودعها :

ـ لا تنسي أنكِ على موعد عشاء مع رعاة البرنامج الليلة، سأحضر لاصطحابكِ عند الثامنة والنصف.

ـ هل أرتدي ثوباً رسمياً؟.

ـ النساء يستطعن ارتداء أي شيء يرغبنه !.

ومع أنها لم تشعر بالرغبة، إلا أنها بذلت ما باستطاعتها لتبدو في أحسن حالاتها، وهذا ما أصبح الآن عملاً روتينياً لها. وما أن خرجت من

المصعد، حتى سمعت أدي يُصفر باستحسان فشعرت بالسعادة، وقالت :

ـ شكراً يا أدي، وأنتَ تبدو أنيقاً أيضاً.

وأخذ بذراعها ليقودها نحو قاعة الكوكتيل، وكمعظم أماكن السهر في الفنادق الأميركية كانت القاعة ذات إضاءة خفيفة، وما كادت ساندرا تصل إلى الطاولة في الزاوية حتى وجدت ثلاثة رجال يجلسون إليها، وادركت أن أحدهم كان أوليفر ساندرز. فتوقفت فجأة ليصطدم بها أدي، فقالت :

ـ لم أكن أعرف أن السيد ساندرز سيكون هنا.

ـ ولا أنا كذلك كنا ندخل القاعة عندما التقيناه وقلنا له إننا جئنا لمقابلتك، وطلب أن يحضر المقابلة ومن الطبيعي أن نقول له بأننا سنكون سعداء، إنه شرف كبير أن يطلب منّا شخص مثله الانضمام إلينا.

ووصلا إلى الطاولة فوقف الرجال الثلاثة، وقام أدي بتقديمها إليهم. وقال أحدهم :

ـ إنها سعادة كُبرى لنا أن تكوني معنا آنسة لاوسون، أتمنى أن تتمتعي بالظهور في برنامجنا.

ـ أتمنى أن أكون على قدر الثقة.

وضحك الثلاثة، ولم يفعل أوليفر ساندرز مثلهم. بل نظر إليها مطوّلاً. وأحسّت فجأة بالحرج من ثوبها المكشوف عند الكتفين والصدر، وتمنّت لو أنها ارتدت ما هو أقل منه كشفاً، ولكن لماذا عليها أن ترتبك؟. إنها جميلة، ولا شيء يمنع من أن يرى الناس كم هي جميلة !. ودون أن تلاحظ، رفعت رأسها، وعندما تكلّمت كان صوتها مليئاً بالثقة. وبعد أن تناقشوا حول استعراض ماكس أريكسون. تحوّل الحديث إلى العموميات، وأخذ أدي يتحدث إلى الرجلين اللذين معه، وقالت ساندرا في سياق الأحاديث لأوليفر :

ـ لم أتوقع رؤيتك هنا. كنت أظن أن كل دقيقة من وقتك مُستهلكة بالعمل.

ـ بالفعل. . فمنذ هذه الليلة وحتى نهاية الأسبوع ليس لدي لحظة

راحة.

ـ وماذا بخصوص الآن؟.

وسمعته يتنفس بقوة. وقال بسرعة :

ـ لا تفعلي هذا !. .

ـ أفعل ماذا؟.

ـ لا تنظري إلي بهذه الطريقة !. عندما رأيت براند في الردهة وقال إنه سيتعشى معك، فعلت شيئاً لم أفعله منذ زمن طويل. . لقد قلت لنفسي ليذهب العمل إلى الجحيم يا أوليفر ساندرز، العمل دون المرح سيجعلك شخصاً عملاً !. .

ـ وهكذا فكرت بأن نتعشى معاً لنمرح !. .

ـ بالطبع.

وشعرت بوخزة ألم لأنه أشار إلى إمضاء الأمسية معها بهذه الطريقة، وبرزت أمامها فكرة، هل يرغب أوليفر ساندرز بعلاقة عابرة معها؟. أيظن أنها تتقبل أي اقتراح قد يقوم به؟. لأنها تعمل لشركته؟.

ظلوا في ردهة الاستقبال إلى ما بعد التاسعة، عندها اقترح أدي أن يتناولوا العشاء في البافيون.

ووافق الجميع على الاقتراح، وفهمت ساندرا لماذا وافق الجميع، عندما سارت أمامهم في المطعم البديع المليء بالنُخبة من طبقات مجتمع نيويورك المُنتقاة. وبالرغم من أن ساندرا كانت تتوق للنوم باكراً، إلاّ أن الساعة كانت قد تجاوزت الواحدة عندما عادت إلى فندقها، وتركها أدي مع أوليفر في ردهة الفندق حيث قال لها :

ـ سأكون دليلك أثناء وجودك هنا، فإذا أردتني قبل التاسعة صباحاً اتصلي بي.

ـ أشك في أن أحتاجك قبل العاشرة، فأنا أشعر وكأنني سأنام أربع وعشرين ساعة.

استقلت المصعد مع أوليفر، أحست بقربه منها وبرائحة السيكار وعطر ما بعد الحلاقة الذي يستخدمه. وقال لها :

ـ في أي طابق جناحك؟.

ـ في الخامس عشر.

ـ أي قبل طابقي.

ـ هل ترغب في تناول مُرطب عندي؟. لقد وفّر لي أدي بعض المشروبات.

ـ لا أظن، شكراً لكِ. عندي زيارة باكراً في الغد.

ـ إذاً عمت مساءً.

ومدت يدها لتصافحه فأمسكها بقوة، وقال لها :

ـ أظن.. أظن أنني سأدخل لتناول شيء عندك.

وفي غرفة الجلوس أضاءت ساندرا النور بينما أخذ أوليفر يصب كأس شراب. ورفضت ساندرا تناول شيء وخلعت حذاءها وجلست على الأريكة واضعة ساقيها تحتها. وأخذت تراقبه وهو جالس يرتشف كأسه بصمت. ولكنه صمت ليس بسبب عدم وجود شيء يُقال، بل نابع من خوف كل منهما أن يبدأ الكلام ويقول الكثير. ومالت إلى الخلف وأغمضت عينيها، سعيدة لمعرفتها بأنه معها في الغرفة نفسها.

ـ كم تبدين جميلة وأنتِ هكذا.. لا، لا تتحركي، أنتِ تبدين مرتاحة جداً.

وفتحت عينيها لترد عليه :

ـ ولكنك لا تبدو مرتاحاً، إذ تبدو قلقاً ومتوتراً.

ـ لستُ متوتراً، بل مستاءً قليلاً.

ـ مستاء؟. ممّ؟.

ـ بل مِمَّنْ؟. أنا مستاء منكِ. إذا كنت تعرفين لا يحق لامرأة أن تكون بمثل جمالك وترتدي هذا الثوب، إنه غير مُحتشم أبداً!..

ـ لا تنظر إلى شيء لا ترغب بالنظر إليه.

ـ ولكنك لست محتشمة أبداً!.

ـ من الواضح أنك لا تشاهد بعضاً من برامجك، فهي تجعلني أظهر وكأنني ذاهبة إلى الكنيسة يوم الأحد.

ـ الأمر لا يتعلق بكمية الملابس المثيرة، بل بكيفية ارتدائها ومَنْ يَرتديها. من الجيد أن أمامي عمل كثير هنا وإلاّ لوجدت أنكِ تغريني إلى حد بعيد.

ـ أنا لا أحاول إغراءك يا أوليفر، ولا تسيء تفسير تصرفاتي.

ـ إذاً عليك أن لا تكوني مثيرة هكذا.

ـ إنها ملابس عملي، وعملي أن أكون مثيرة، فأنا لستُ مُغنية أوبرا، فأنا مغنية شعبية شهيرة.

وقال لها بحدة :

ـ لا تتحدثي هكذا، فهذا لا يُناسبك.

ـ لا يُناسبني!. وكيف تعتقد أن عليّ أن أظهر إذاً؟.

ـ بطريقة طبيعية. وليس بهذه الطريقة.

وتقدم منها ليرفع ذقنها ويقول بحدة :

ـ لا تتظاهري بالإثارة يا ساندرا، فما على الرجل إلاّ أن ينظر في عَينيكِ ليعرف أن هذه ليست طبيعتك، أنتِ حُلوة، عاصفة، متّقِدة، ولكنك بريئة.

ـ إذا كنت شفافة هكذا، فلا يجب أن أترك رجلاً ينظر إلى عينيّ!..

ـ هذا أفضل، وخاصة إذا كان على الرجل أن يقف قريباً منكِ ليفعل هذا!..

والتفت ذراعه حولها ليعانقها، وعلمت أن عليها أن تبعده عنها ولكن بدلاً من ذلك امتدت ذراعاها لتعانقه بدورها. وارتجفت بين ذراعيه مُتمنية أن تدوم هذه اللحظة إلى الأبد، ولكنه ابتعد عنها وعيناه تلمعان وأنفاسه تتسارع باضطراب.

ـ قلت لكِ ما كان يجب أن أدخل إلى هنا، أنا آسف يا ساندرا، لم أقصد أن.. ليس لي الحق.. لن أراكِ ثانية، والأفضل أن نتودع الآن.

توجّه نحو الباب، وتوقف لينظر إليها ثم دون كلمة سار إلى الخارج.

ومرت الأيام ببطء، ولم يتصل بها أوليفر وتوصلت إلى استنتاج بأنه كان يعني ما يقول. وكانت تعلم أنه لا زال في نيويورك، فقد كان أدي

www.elromancia.com

يذكره أحياناً، ولكنها لم تكن تقابله لأنها كانت مشغولة بالتمرينات، وفي المساء كانت تتناول العشاء مع أفراد الاستعراض. ظهورها في الاستعراض كان مقرراً لثلاث دقائق، ولكن ماكس باري أعجب بصوتها فمدَّد الوقت لعشر دقائق، وهو وقت يكفيها لأداء ثلاث أغنيات.

عندما انتهى البرنامج، توقف الجميع ليهنئوها ومن ثم عادت إلى غرفتها، وعلمت أن غداً مساءً سوف تعود إلى إنكلترا فهل سيكون أوليفر على الطائرة نفسها؟. وسمعت جرس الهاتف فركضت لتجيب، ولم يكن هناك أي دليل عمَّن يكون المُتكلم، وعندما سمعت صوت أوليفر أحست برعدة حتى أنها اضطرت إلى الجلوس. وقال لها دون مُقدمات :

ـ لقد شاهدت الاستعراض وكنتِ رائعة.

ـ أنا سعيدة لأنه أعجبك. كنت أفكر بكَ وأتساءل ما إذا كنت قد عدت إلى إنكلترا.

ـ أنتِ تعلمين أنني لن أعود قبل أن أتصل وأودعك.

ـ لم أكن أعرف هذا، كنت أود أن أسألك.. ما إذا كنت ستتصل بي خلال الأسبوع.

ـ قلت لكِ إنني لن أفعل، ولستُ أدري لماذا أتصل بكِ الآن، متى ستعودين؟.

ـ مساء الغد. وأنت؟.

ـ كان مفروضاً أن أسافر الليلة، ولكنني ألغيت الموعد، هل أنتِ مضطرة إلى العودة لسبب محدد؟. لن تظهري في أي استعراض، أليس كذلك؟.

ـ يجب أن تعلم أنني لن أبدأ في استعراضي الخاص حتى الربيع.

ـ إذاً.. لا شيء يمنعكِ من إلغاء رحلتكِ والعودة في نهاية الأسبوع؟.

ـ لا.. لا شيء يمنعني.

ـ إذاً.. هل تفعلين هذا يا ساندرا؟.

ـ أجل يا أوليفر سأفعل.

وسمعته يتنهد، وتكلم بصوت منخفض حتى كادت أن لا تسمعه.

ـ جزء مني كان يأمل أن تقولي لا، والجزء الآخر كان يأمل أن تقولي نعم، أنتِ تعلمين بأننا نتهرب من واجباتنا يا ساندرا، أليس كذلك؟.

ـ لقد كنت دائماً فتاة طيبة، وحان الوقت للعب دور التهرُّب.

وفجأة غمرها الخوف مما قد يحدث في الأيام القليلة التالية، وامتلأت بالذعر، بالفرح، بالوهم، فلم تعد تستطيع الكلام، ثم قالت أخيراً :

ـ سأراك غداً.. عمت مساءً يا أوليفر.

ـ سألقاكِ في ردهة الفندق صباح الغد، عمتِ مساءً يا ساندرا، وشكراً.

وأعادت السماعة مكانها، وحدقت إليها وكأنها لا تراها. هل كانت مخطئة بالقبول باقتراحه؟. ألن تسبب لنفسها مزيداً من الكرب ووجع القلب؟. وصاحت بصوت مرتفع :

ـ لستُ أهتم.

ثم وقفت، وخلعت فستانها وتركته يهبط عن جسدها إلى الأرض.

ـ لستُ أهتم!. مهما حدث، على الأقل سيكون عندي هذه الأيام القليلة لأعيد التفكير فيها.

١١ ـ يسرقان الزمن

شعاع حاد من نور الشمس تسلل عبر الستائر الشفافة إلى وجه ساندرا. فاستفاقت متثائبة، ومطت ذراعيها، تتمتع باللحظات المريحة بين اليقظة الكاملة والنوم، حين يكون العالم كله خيالاً ورديا ويبدو الزمن متجمداً.

وفجأة تذكرت أوليفر فأسرعت للخروج من الفراش نحو النافذة، وأخذت تنظر إلى حدود سماء نيويورك، أوليفر ونيويورك !.

الساعة في معصمها كانت تشير إلى الحادية عشرة عندما سارعت إلى ردهة الفندق، وقلبها يخفق، فلم تجد أحداً وجلست تنتظر. ألم تتخيل يا ترى مكالمة أوليفر ليلة أمس؟

وهمس صوته في أذنها :

ـ تبدين كفتاة خائفة.

رفعت رأسها إليه بسرعة وهي تبتسم، فتابع معتذراً :

ـ كنت أشتري جريدة، ولوحت لكِ وأنتِ خارجة من المصعد ولكنكِ لم تريني.

وجذبها لتقف وحدق إليها عن كثب :

ـ تبدين تعبة يا ساندي، لا بد أنكِ سهرت كثيراً.

ـ لك أن تلوم كرم الضيافة النيويوركية على هذا وأنت تبدو تَعِباً أيضاً !.

ـ حتى عندما أخلد إلى الفراش لا أستطيع أن أنام من التفكير بك. كم اشتقت لرؤية وجهك وسماع صوتك !. .

وأخفضت عينيها، وقد خجلت من نفسها لافتقارها إلى الشجاعة والصدق معه كما هو معها، وقالت، وهي تنظر بكل الحب في قلبها إلى عينيه :

ـ لقد أردت رؤيتك أيضاً.

ـ أوه يا ساندرا لو لم أتصرف بهذا الغباء، لكنا على الأقل أمضينا هذه

الأيام الأخيرة معاً.

فابتسمت وقالت :

ـ أمامنا الأيام القليلة القادمة بدلاً عنها، وستكون أفضل بكثير إذ لن يزعجنا أي شخص آخر.

ـ أشكر السماء على هذا، مساعديّ يظنون انني قد غادرت إلى لندن لذا أنا حر تماماً، وماذا عنكِ؟.

ـ عليّ أن أخبر أدي بأنني باقية، وسأقول له أريد أن أتجول في المدينة متفرجة.

ـ لنأمل أن لا يعرض عليك مرافقتكِ.

وأمسك يدها بيده، وهما يخرجان من الفندق، وكان الرصيف مليء بالناس، معظم النساء يرتدين السترات أو المعاطف الفرو، إلى يمينهما تقع «سنترال بارك» ولا زالت الأشجار تحمل أوراقها، والعشب لا يزال يكتسب اللون الرمادي من أثر أوساخ الشتاء وغبار المدينة.

وقال أوليفر :

ـ لم أخطط لشيء، فهل هناك شيء خاص تودين فعله !.

وفكرت للحظات، ثم قالت :

ـ أريد أن أتفرج على واجهات المحلات، إلاّ إذا كان هذا يضجرك. معظم الرجال يكرهون هذا.

ـ ألا تعرفين بأنني لستُ كمعظم الرجال؟. . إذا كان هناك شيء أحبه أكثر من التفرج على المحلات. فهو الشراء منها، وأحب أن أشتري لكِ كل شيء ترغبينه يا ساندرا.

ـ هذا تصريح متسرع، فقد أكون متهورة في الشراء.

ـ أستطيع التحمُّل، فهل تسمحين لي بشراء ما ترغبين به.

هذا سؤال تحلم معظم الفتيات أن يسمعنه وكادت أن تقول نعم، ولكن كبرياءها واستقلاليتها دفعتاها لهز رأسها رافضة.

لم يجادلها، بل نظر إليها نظرة طويلة صامتة، وتابع السير إلى جانبها. واشترت ساندرا لأمها بعض المجوهرات المُعتادة، وبعض ربطات

www.elromancia.com

العنق لبيري تركت اختيارها لأوليفر. ودُهشت لعدم اتقانه الربطات المتزمتة، بل اختار الألوان الزرقاء المُقلّمة وواحدة أنيقة بُنيّة لها لون الذهب. فسألته :

ـ هل أنت متأكد بأنها ستُعجبه؟.

ـ سأرتديها بنفسي إذا لم تعجبه.

ـ لا أستطيع تخيُّلك وأنت ترتديها.

ـ لا تهتمي بما ألبسه الآن، فعلي هنا أن ألبس ما يناسب عملي، وستندهشين لما ألبسه عندما أكون حراً.

ـ ألا تتمنى أبداً أن تتخلص من القيود؟.

وأحست بوجنتيها تحمران، وهو يمسك بيدها ويضغط عليها :

ـ هذا بالضبط ما أفعله الآن.

وأخذ اللفافات من البائع وقادها إلى خارج المحل :

ـ دعينا لا نتكلم عن المستقبل، ولنتقبل ما تقدمه لنا السماء من دون تفكير بالغد.

وأثارت الريح بعض الغبار من حولهما، فتوقفت، وأخذت تفرك عينيها بحدة :

ـ أوه !. لقد دخل شيء في عيني !.

ـ ابقيها مغمضة. .

وجذبها إلى مدخل أحد المحلات، وأخرج منديله ورفع رأسها قائلاً :

ـ افتحيها الآن. .

ثم مسح عينها بالمنديل ليخرج الغبار منها. فقالت :

ـ لقد ارتحت، كان يُمكن أن تكون طبيباً رائعاً يا أوليفر.

ـ أنا رائع في أي شيء، فأنا أؤمن بأن المرء إذا أراد فعل شيء حقاً فبإمكانه أن يفعله بنجاح.

ـ كم أنت واثق من نفسك !. هل تتمكّن دوماً من أن تحصل على ما تريد؟.

ـ لا يا ساندرا. . ليس كل شيء، فالمرء أمامه الكثير من الاعتبارات

والإنسان غالباً ما يكون مُرتبطاً مع الآخرين.

ـ أتمنى أن أكون جميلة !. أتمنى أن أكون طويلة جميلة ومثيرة !.

ـ يا إلهي. . أنت مثيرة بما فيه الكفاية، فلديك وجه جميل يا ساندرا. في عينيكِ براءة تجعلني أتوق لأن تبقيا بعيدتين عن المرارة دائماً. راجعي ذكرى اللحظات التي أمضيتها في غرفتك الأسبوع الماضي وسوف تحصلين على جواب أبعد من أي شك.

ـ أوه. . يا أوليفر أنت تقول أشياء رائعة.

ـ أتمنى لو أنني قلت هذا في مكان آخر غير شوارع نيويورك !. هل تظنين أن أحداً سيعترض لو أخذتك الآن بين ذراعي؟.

وقبل أن ترد، جذبها إليه معانقاً بسرعة ونعومة، فصاحت.

ـ أوليفر !. ماذا تفعل؟.

ـ لا أحد يعرفنا هنا، وكم هو شعور رائع.

ووضع ذراعه في ذراعها وتابعا السير.

لا أحد يعرفنا !. هل هذا هو سبب عدم اهتمامه وقلة حذره بما قاله؟. هل هذا بسبب أنه يعرف أن أيامهما القليلة معاً في نيويورك هي سعادة مُنتزعة من الزمن، أنشودة حب ستنتهي لحظة وصولهما إلى إنكلترا؟. وتمنت بأن تعرف الجواب قبل أن يعودا إلى إنكلترا.

ومر الأسبوع بسرعة، كل يوم أجمل من الآخر. بالنسبة إليهما لم يكن يهمها أين يذهبان وماذا يفعلان، فالبقاء مع أوليفر يكفيها، كل ما يفعل كان مألوفاً لديها كما تتصور تماماً. لو أنهما فقط بإمكانهما أن يكونا شخصاً واحداً. لو أنه ليس هناك حواجز تمنعهما من التكامل في حبهما. وبكل صدق، كان عليها أن تعترف بأن الحواجز من صنعها هي، ولكنها كانت تعرف بأنها على الرغم من حبها لأوليفر من كل قلبها، فستقود أي علاقة بينهما تحت هذه الظروف وعلى المدى الطويل، إلى تعاسة كبيرة.

ـ لا تكوني خائفة مني يا ساندرا، فأنا أفضل أذية نفسي قبل أن أسبب الألم لشعرة من رأسكِ، ألم تعرفي هذا بعد؟.

ـ لا أعرف سوى القليل عنك يا أوليفر.

www.elromancia.com

ـ لهذا أردت أن تمضي هذا الأسبوع معاً.

وكانا قد وصلا إلى الفندق وصعدا إلى غرفتها فقال عند الباب .

ـ لن نستطيع الكلام هنا يا ساندرا.

ودفع باب غرفتها ودخل، ثم توجه نحو الطاولة ليصب كأس شراب بارد. وانتظرته ليتكلم، تتخيل ماذا سيقول وتحضر رفضها. . ولكنه لم يقل شيئاً، وتعمّق الصمت أكثر بينهما.

ـ لا فائدة من التظاهر، لستُ أدري ما كان يجول في ذهنك طوال اليوم، ولا أستطيع القول إنني ألومك لما تفكرين به، مع أنني كنت أتمنى أن تفكري بنفسكِ بثقة أكبر.

ـ لستُ أفهمك.

ـ آسف. . ما أعنيه بأنك تدركين أنني أحترمكِ بقدر ما تحترمين نفسك، وأنا أحترمك يا ساندرا، أكثر من أية امرأة عرفتها. . وعندما ألغيتُ سفري وطلبتُ منك أن تفعلي الشيء نفسه، لم يكن لديّ خطة محددة. وللمرة الأولى منذ سنوات طويلة تبعت عواطفي وكنت أتمنى أن تفعلي الشيء نفسه.

ـ لقد فعلت، ولو أنني أردت التفكير لحضّرت حقائبي وسافرت !.

وأذهب الضحك ببعض التوتر بينهما، فجلس على مقعد قريب منها.

ـ أعتقد بأننا نتصرف وكأننا طفلي مدرسة. وهذا لا يعني أنني لا أحب أن أصور الأمر بطريقة ثانية، أريدك لي بالكامل يا ساندرا ولكنني مثلكِ، أشعر من الأفضل أن نتمهل. وأخشى لو أنك أعطيتني حبك، فلن أدعكِ بعد ذلك. وهذا لن ينجح لن ينجح !. .

ووقف، وأخذ يجوب الغرفة دون ثبات، وراقبته، فرأت أنه تحت ضغط عاطفي شديد، وعلمت أنها لا تستطيع مساعدته، وأن أي شيء تقوله سوف يُسيء للأمور أكثر، فبقيت صامتة، وقال أخيراً :

ـ لنُمتع أنفسنا في هذا الأسبوع، ولا تخافي من أن أطلب منك شيئاً لا تريدينه.

ـ ليست المشكلة بأنني لا أريد، أو بأنني لا أريدك قدر ما تريدني، ولكن. .

ـ لا تقولي المزيد، أنت تحاولين أن تضعي في كلمات ما أشعر به. في قرارة قلبي.

والتقت عيناهما، وبدا وكأن روحيهما قد تلامستا بعمق وودّ، ثم قال بصوت أجش :

ـ تصبحين على خير يا حبيبتي، سأراكِ صباح الغد.

الغد !. لم يبقَ أمامهما في نيويورك سوى غد واحد، أربع وعشرون ساعة من الآن تعود بعدها إلى الوطن، لتحاول نسيان الأسبوع المثالي الذي أمضته مع الرجل الذي تحب.

وبكل قوة إرادة فيها رفضت أن تفكر بالمستقبل، ورفضت أن تفكر بأنهما عندما يعودان إلى إنكلترا، ستعود هي إلى منزلها ويعود هو إلى جينا، ولم يتكلم لمرة واحدة عن زوجته، وتساءلت ما هي نوعية العلاقة بينهما، فلو أنه كان سعيداً لما وقع في حبها، ولكن هل يحبها أوليفر فعلاً؟..

وقررا أن يذهبا للرقص في آخر أمسية لهما، وارتدت ساندرا أحد أجمل فساتينها، فقال لها معلقاً :

ـ تبدين كالأوزة البرية في هذا الفستان.

ـ لستُ أدري إذا كان هذا إطراء. فالأوزة البرية قد تعضك بأذى اذا اقتربت منها.

ـ لهذا السبب ابتعدت عنك طوال الأسبوع.

وتعشيا في الإلدورادو، وبعد العشاء دفع كرسيه ووقف قائلاً :

ـ تعالي لنرقص.

وتوالفت خطواتهما باكتمال، وبينما كان يتحركان فوق حلبة الرقص كانت تريح رأسها على صدره ويريح خده على شعرها. وبقيا هكذا نصف ساعة، وكأنهما يكرهان الابتعاد عن بعضهما، شعرت ساندرا وهي تنظر إليه برعشة الانتصار لمعرفتها بأنه متأثر لقربها منه كما هي متأثرة

لقربه منها.

كانت الساعة تشير إلى الثانية صباحاً عندما عادا إلى الفندق وسارا معاً باتجاه غرفتها، دخلا بصمت وأغلقا الباب، وبصمت جذبها إلى ما بين ذراعيه، فأغمضت عينيها واستسلمت لنشوة لم تكن تعتقد بأنها ممكنة، ولم تعد تهتم بشيء ما عدا أنها في المكان المناسب لها. وهمس لها :

ـ أحبك. . . أحبك.

ـ وأنا أحبك أيضاً.

وبقيا متلاحمين لوقت طويل، ولكنهما في النهاية لم يستطيعا الاستمرار هكذا، فدفعها بلطف عنه، ووقف وظهره إليها. وأخذت أكتافه تتحرك، أتراه يبكي؟. وأسرعت إليه ونظرت إلى عينيه اللتين حسبتهما قاسيتين باردتين فإذا بهما مليئتان بالدموع.

ـ أوه يا حبيبي. . لا تبكي. لا أستطيع تحمّل دموعك، فإذا كنت تريدني فأنا لك.

وتعانقا من جديد وقد امتزجت دموعهما. ولكنها أخيراً جذبت نفسها من بين ذراعيه وارتمت فوق الأريكة، كل ما كانت تعرفه أن قوة أكبر منهما كانت تبعدهما عن بعض، وجاءها صوته جافاً. يظهر التوتر الذي يعانيه.

ـ لا تنظري إليّ بحزن هكذا. لقد قلت لك إنني لن أقبل شيئاً لا تريدينه. وكل ما قلته يومها، والإغراءات التي قدمتها، لا تزال سارية، وحقيقية.

ـ إذاً لن تستطيع أن تحبني.

ـ كيف تستطيعين أن تقولي هذا؟. أحبك كثيراً جداً!. وأنا مستعد للتخلي عن كل شيء، مركزي، وعملي، وكل شيء، فقط لو أستطيع أن أشاركك ما تبقى من حياتي.

وأحست بالأمل من كلماته، والأمل المتولّد من اليأس أجبرها على الكلام، ولتقول شيئاً لم تكن تستطيع قوله في غير هذه الظروف.

ـ إذا كنت تحبني بهذه القوة، فماذا يمنعنا من أن يكون لنا مستقبل معاً؟.

ـ أنا متزوج، أنسيتِ هذا؟.

ـ ولكنك لستَ سعيداً. فمن المعروف أنك وجينا تختلفان و. . وحاولت التقاط منديلها، فسارع إلى تقديمه إليها فقالت :

ـ أنا آسفة، أعلم أن الرجال يكرهون الدموع.

ـ أنا لا أكره شيئاً قد تفعلينه. وفي هذه اللحظات أكره نفسي لأنني سبّبت لك بهذه الدموع.

وعاد يجوب الغرفة، وكأنه أسد في قفص، ثم قال :

ـ الأفضل أن أقول لك الحقيقة، لم أكن أنوي أن أقولها لأن الأمر ليس سراً لي وحدي، ولكنني أظن أنك، من بين كل الناس، لك الحق بأن تعرفي.

وتقدم نحوها وأمسك بيديها بقوة قائلاً :

ـ أنت تعرفين بأنني أحبك، وأن زواجي ليس ناجحاً، ولذا تعتقدين بأن عليَّ طلب الطلاق من جينا، ولكنني لا أستطيع يا ساندرا ولن أستطيع أن أصبح حراً أبداً.

وصدرت عنها همهمة ألم فسارع إلى القول :

ـ ساندرا. . لا تنظري إليّ هكذا، دعيني أشرح الأمر لكِ.

ـ لقد قلت ما فيه الكفاية.

ـ لا، لم أفعل!. لم أبدأ حتى بقول الحقيقة، فهناك أسباب عديدة لعدم استطاعتي الطلاق من جينا، ولكن ليس بسبب الحب، فأنا لم أحبها أبداً لقد جذبني إليها جمالها الإيرلندي ولكن لم يمضِ على زواجنا إلاّ القليل حتى أدركت أنني أخطأت فلم يكن يجمعنا شيء مشترك، فبالنسبة لي هي طفلة لن تكبر أبداً، ولن أستطيع التقرّب منها أبداً.

وترك يدا ساندرا ليذرع الغرفة مجدداً وهو يتابع :

ـ كنت أعتقد أن الأمور ستتغير عندما نُرزق بالأطفال. . ولكن في يوم من الأيام حصلت حادثة. . حادثة سيارة. . كنت عائداً وإياها من

الريف. . وكنت أقود السيارة مُتعباً بعد عمل ثماني عشرة ساعة متواصلة وكنا قد تشاجرنا كالعادة، فاصطدمت السيارة بشجرة وانقلبت. وعندما استعدت الوعي كنت في المستشفى، ولم يحدث لي شيء سوى بعض الخدوش، ولكن جينا. أصيبت بإصابات بالغة، ونزيف داخلي. . في البداية لم يعتقد الأطباء بأنها ستعيش. . و. . .

ـ أكان هذا عندما أرسلت بطلب براد؟.

ـ أجل. . وكيف عرفتِ؟.

ـ لقد ذكر الأمر لي. ولكن ماذا حدث بعد ذلك؟. لقد تحسَّنت صحة جينا، أليس كذلك؟.

ـ إلى ما هو أفضل. . ولكن. . لم يعد باستطاعتها إنجاب الأطفال.

ولم تقل ساندرا شيئاً. . وأمسك بيديها متابعاً :

ـ أتعرفين ماذا يعني هذا يا ساندرا؟. جينا التي تحب الأطفال وتريد إنجاب طفل، لم تعد تستطيع بسببي.

ـ ولكنها كانت حادثة، ولا يمكن لومك.

ـ كانت غلطتي. . كنت تعباً ولم يكن يجب أن أقود السيارة.

ـ لقد كانت حادثة. . وما نوع الحياة التي ستعيشها أنت وجينا والتي أساسها الشعور بالذنب بدل الحب؟. أمامك حياتك كاملة، يا أوليفر وكذلك هي، وهي صغيرة جداً لتودِّع السعادة، ويجب أن تعرف بأنك لا تحبها.

ـ لقد ودَّعت السعادة عندما علمت بأنها لن تنجب ولداً، وأنتِ الآن تعرفين الكثير من القصة، ومن الأفضل معرفة الباقي، فقد أثرت عليها الحادثة عاطفياً كما أثرت عليها جسدياً، فمنذ أن شفيت لم يكن بيننا حياة طبيعية، فلم تعد تهتم بالرجال، ولو طلَّقتها فلن تتزوج ثانية. لذا لن أستطيع طلب حريتي. فهناك شيئان يربطاني بها وليس شيئاً واحداً.

وأحست ساندرا بالرعدة للتفكير بما هي عليه حياة جينا. امرأة جُرِّدَت من كل شيء يستحق الحياة من أجله، لن تحصل على الأطفال أبداً، ولن تشعر بالرغبة الطبيعية أبداً.

ـ ولكنها صغيرة جداً. ولا بد أن يكون الأمر مجرَّد كابح نفسي.

ـ كان الأمر نفسياً لسنتين حتى الآن، يا إلهي يا ساندرا !. هل تظنين بأنني لم أناقش الأمر مع الأطباء؟. ولكنهم لم يستطيعوا فعل شيء !. لا شيء !. أتفهمين الآن لماذا لا أستطيع طلب الطلاق؟.

ـ أجل. . أوه يا أوليفر، أتمنى لو أنك قلت لي هذا من قبل.

ـ وهل سيكون هناك فرق؟. أكنت رفضتِ أن تمضي هذا الأسبوع معي؟.

ـ لا. . وفيما تبقى من حياتي سأبقى أذكر نيويورك، وأذكرك.

ـ وأنا كذلك، التفكير بالمستقبل من دونك. .

ـ وهل يجب أن تكون من دوني؟.

ودون تفكير أسرعت ورمت بنفسها بين ذراعيه مكررة :

ـ هل يجب أن تكون من دوني؟.

ـ أجل يا حبيبتي. . يجب. . وأي علاقة تظنين أننا نستطيع أن نحصل عليها في إنكلترا؟. وكم تعتقدين أن باستطاعتنا إبقاء الأمر سراً؟. وقد يؤثر هذا على مستقبلك و. .

ـ اللعنة على مستقبلي !. وهل تعتقد أنني أهتم بنجاحي كمغنية؟. أريد أن أكون معك يا أوليفر، وأعلم أن عليَّ أن أبقى متخفية دوماً، ولكنني لستُ أهتم.

ـ بالطبع ستهتمين، فأنت من البشر يا حبيبتي، ومع أنك تعنيني ما تقولينه الآن، إلا أنك بعد شهر، أو سنة، سوف تستائين من تركي لك وحيدة لأنني سأكون مُضطراً للذهاب إلى مكان لا أستطيع اصطحاب أحد سوى زوجتي إليه.

ولم ترد فهز رأسه وتابع :

ـ أتظنين انني قد أرغب في إيلامك هكذا يا ساندرا؟.

ـ ألا تظن بأنني متألمة الآن؟.

ـ أعلم، ولكن هذا شيء ستتغلبين عليه.

ـ لن أتغلب عليه أبداً يا أوليفر. أبداً !.

www.elromancia.com

ـ سوف ستتغلبين عليه، صدقيني. . سوف يحدث هذا. فصرخت :

ـ لا. . لا يمكن لك أن تصدق ما تقوله.

وحاولت أن تجذبه إليها، ولكنه دفعها عنه بعيداً.

ـ لا تفعلي هذا يا ساندرا، أنت تُعقّدين الأمور عليّ بشكل لا يُطاق، لم يكن يجب أن أطلب منك قضاء هذا الأسبوع معي، كان عليّ أن أستجمع قواي ولا أتصل بك.

وأدركت أنه على وشك الانهيار، فابتعدت عنه وأخذت تنظر من النافذة، تشاهد أضواء نيويورك الساطعة، وأضواء الجسر الذي يربط بين ضفتي النهر وكأنه العقد الماسي. ومن خلفها، سمعت أوليفر يسير نحو الباب، وعندما أحست أن يده أصبحت على المقبض، استدارت لتنظر إليه.

ـ سأفعل ما تريده مني.

ـ شكراً لك يا حبيبتي، لن أعود معك على الطائرة نفسها، سأسافر إلى أمستردام، وأظن هكذا أفضل.

ـ فهمت. . وعندما نلتقي في لندن هل نتظاهر بأن هذه. . هذه الأيام الأخيرة كانت حلماً؟.

ـ حلم كنت أتمنى أن لا نستفيق منه. . وداعاً يا حبيبتي.

ـ لا تقل وداعاً يا أوليفر !. . . فليس هذا وداع !. سوف تراني في لندن.

ـ سأراكِ يا ساندرا، وسأتحدث معك، ولكن ليس بالطريقة نفسها ولهذا يجب أن تكون هذه الليلة. . وداعاً.

ـ وداعاً يا أوليفر.

ودفنت رأسها بين يديها، تبكي لكل شيء، لكل الآمال التي لن تتحقق، لكل السعادة التي لن تحصل عليها بعد الآن.

١٢ ـ أريدك أنت فقط

أخبار نجاحها في نيويورك سبقتها إلى لندن، واستقبلتها عدة عروض للظهور في برامج مختلفة، وكان براد مسروراً للطريقة التي كانت الأمور تجري فيها، وكانت الابتسامة لا تُفارق وجهه، وعندما ذكر براد لها أن أوليفر كان معها في نيويورك في الوقت نفسه قالت بكل بساطة إنها سافرت معه على الطائرة نفسها، ولم تشاهده إلا في بعض المناسبات.

ـ ومع ذلك فقد شاهد استعراضك على التلفزيون، لقد اتصل بي وأخبرني فور عودته.

ـ ومتى وصل إلى لندن؟.

ـ بعد يوم من وصولك يبدو أنه سافر من نيويورك إلى هولندا.

ـ وماذا. . ماذا قال عن الاستعراض؟. .

ـ قال إنك كنت ممتازة وإنه مستعد لدعمي حالياً في أية مشاريع لك، وهذا ما كنت أنتظر سماعه منه منذ أشهر. ولكنه شيطان حريص لم يعطني الضوء الأخضر، لا بد أنك أعجبتيه كثيراً في نيويورك يا ساندرا، كنت أتمنى لو أنني استطعت مشاهدتك. في المرة القادمة سأسافر معك، وأتمنى أن يكون هذا لفترة أطول من أسبوع.

وكان من المستحيل عليها التظاهر بأنها لم تفهم ماذا يقصد فقالت بسرعة :

ـ لستُ واثقة بأنني سأرغب في العيش في نيويورك لمدة أطول ولا أستطيع تخيل أنني أسكن هناك.

ـ هراء !. ستعيشين في أي مكان يساعد على نجاح مستقبلك المهني !.

ـ مستقبلي المهني !. مستقبلي المهني !. أهذا كل ما تستطيع التفكير به؟.

وندمت فوراً على انفجارها في وجهه، فقد حدق إليها بذهول،

وغرقت في مقعدها غاضبة، وقالت بهدوء :

ـ أنا آسفة. . أعتقد أنني تعبة إلى حد كبير.

ـ أستطيع فهم هذا، لقد عشت على أعصابك في نيويورك، وكذلك منذ عدتِ. وأنا لا أحب أن أراكِ في هذه الحالة، أريد أن أحيطك بذراعي لأحميك، وأنت تعرفين بماذا أشعر نحوك يا ساندرا. . لو أنني. .

وتقدم منها ليضع يديه على كتفيها، فأجفلت :

ـ لا تفعل هذا يا براد !.

ـ ولماذا لا؟. فأنا أحبك ولا فائدة من التظاهر بالعكس، وكنت آمل أن تغيري رأيك.

ـ أخشى أنني لم أفعل.

ـ حسناً، طالما أنتِ لا تحبين شخصاً آخر سأستمر في الأمل، ولهذا أرغب في أن نسافر إلى أميركا، ففي محيط مختلف، بعيداً عن كل من أعرف. .

وفجأة جعلتها الغيرة من جينا فظة أكثر من المعتاد :

ـ لمجرد أن تهرب من تحكُّم جينا بك، فإن الرحلة تبدو مهمة بالنسبة لك، ولكن ليس أمامي شيء أهرب منه، وإذا استطعت تحقيق النجاح هنا، فسأبقى هنا.

ـ أنتِ تظنين هذا الآن، ولكن عندما تحصلين على عرض لن تتمكّني من رفضه.

لم تكن تضع النجاح في طليعة اهتماماتها، ولكنها في الأسابيع التي تلت وجدت أن عملها يستحوذ على أوقاتها وعنايتها إذ لم يكن لديها شيء آخر، وبالكاد كان أمامها ساعة لتضيعها. عندما التقت في النهاية مع أوليفر، لم تكن مهيأة لهذا اللقاء، وكانت قد عادت مع براد من رحلة إلى مانشستر حيث قدمت عرضاً خيرياً ناجحاً يوم الأحد. وقالت ساندرا لبراد :

ـ سأذهب تواً إلى المنزل لأنام، وماذا عنك؟.

ـ عليّ العودة إلى المحطة، فهناك تغيير رئيسي في أحداث أحد

المسلسلات، وعلينا تغيير بعض النصوص لهذه الليلة.

ـ وماذا سيحدث؟.

ـ علينا أن نُدخل مغنية معروفة إلى القصة، لأن البطلة مريضة وقد تقود الأحداث إلى تعقيدات.

ـ فكرة جيدة بأن تأتي بمغنية مشهورة للاشتراك في الحلقة.

ـ سيكلفنا هذا كثيراً، وميزانية هكذا مسلسل تكون عادة مضغوطة.

ـ سأشارك في الحلقة دون أجرٍ، إنه برنامج خاص بك يا براد وإذا كان هذا سيساعدك. .

ـ هل أنتِ جادة؟.

وهزت رأسها بالإيجاب.

ـ اللعنة يا ساندرا. . هذه فكرة رائعة. . والمفاجأة هذه قد تظهر في الصحف غداً. تعالي إلى الاستديو معي الآن.

ـ ألا أستطيع الذهاب إلى المنزل لأغير ملابسي؟.

ـ حسناً، وسأخبر المشاركين الآخرين بما حدث واعدّ الترتيبات.

كان النهار قد انتصف عندما عادت ساندرا إلى «ش. ت. م.» وتوجهت نحو مكتب براد. وفي الطريق التقت بسكرتيرته، فقالت لها السكرتيرة وهي تشهق :

ـ أوه آنسة لاوسون، لقد كان هذا اليوم من أسوأ الأيام، فكل شيء يسير إلى الأسوأ في المسلسل، والسيد أدامس خائف.

ـ وما هو شكل الفتاة الجديدة التي ستشترك في المسلسل؟.

ـ لم تأتِ بعد !. الأمر فظيع فقد أصيبت باليرقان، ولذا علينا أن نستبدلها أيضاً !.

ـ وهل تمكّنتم من هذا؟.

ـ السيد أدامس يقابل بعض الفتيات الآن، ولكنك لن تتصوري مدى خوفه، ووكالات الممثلين تتصل به لتقترح عليه الأسماء، عليّ أن آخذ هذه الأوراق إلى السيد أوليفر ساندرز ثم أعود مُسرعة إلى الهاتف. إنه لم يتوقف عن الرنين طوال اليوم.

ـ وهل السيد. . السيد ساندرز هنا في المبنى؟.

ـ لا. . لقد سافر إلى إفريقيا، ولن يعود قبل المساء.

ومدت ساندرا يدها لتأخذ الملف من السكرتيرة قائلة :

ـ سأوصلها عنك فعودي إلى الهاتف، وقولي للسيد أدامس إنني سأنتظره في الاستديو.

ـ حسناً آنسة لاوسون وشكراً لك.

وتابعت ساندرا سيرها وهي تحمل الملف، ما أن سمعت أن أوليفر مسافر حتى أحست بشوق لأن ترى مكتبه ثانية، وركضت صاعدة السلم ثم سارت في الممر نحو المكتب، ودخلته وأخذت تنظر من حولها، وتقدمت إلى الطاولة ووضعت عليها الملف وخنقتها العبرات، فدفنت رأسها بين يديها، وبقيت دون حراك وكانت مستغرقة في بؤسها حتى أنها لم تسمع الباب يُفتح، ولا وقع الأقدام على السجاد السميك قادمة نحوها واشتمت رائحة السيكار فرفعت رأسها :

ـ أوليفر !.

وكانت الكلمة كالهمس، وحدّقت به، ولاحظت التعب على وجهه، فقالت :

ـ لقد. . ظننت أنك في أفريقيا، وأراد براد إيصال هذا الملف إليك .

ولم يقل شيئاً، وبقي يحدق إليها، وعيناه جامدتان وكأنهما الرخام :

ـ ليس لدى الحق بأن أدخل إلى هنا. . أنا آسفة.

وبدأت تسير إلى الباب، فمد يده وأمسك بها.

ـ ساندرا. .

ودون أية كلمة أخرى جذبها بين ذراعيه، ولبثا صامتين دون حراك، غير واعيين للزمن، ولا للمستقبل، كل منهما مُنصَبّ على هذه اللحظة، وهما معاً. وأخيراً، ابتعدا عن بعضهما، ومرر أوليفر يده في شعره، وقال :

ـ ليس لديك فكرة كم كنت أتوق لهذه اللحظة. . كنت أحلم بها ليل ونهار. . كنت أتخيل أنني أعانقك و. .

فقالت بصوت منخفض :

ـ لا يمكن أن تكون راغباً فيّ بالقدر الذي رغبتُ به فيكَ، هذه الأسابيع كانت محنة بالنسبة لي، حاولت تجنبك، وعندما كنت أعلم أنك في مبنى الشركة كنت أختلق الأعذار كي لا أدخل هذا الطابق، ومع ذلك كنت أصلي طوال الوقت حتى نلتقي.

ـ وكذلك أنا، مع انني كنت أعلم أن لا فائدة من لقائنا، لكن إذا لم تجمعنا الصدفة، لكنت صنعتها، أوه يا ساندرا !. كل ما أطلبه من الحياة أن أضمك بين ذراعي !.

وانهمرت الدموع من عينيها، ولم تحاول إخفاءها.

ـ لو أنك حر يا أوليفر !. ليس من العدل إفساد حياتنا بسبب غلطة ارتكبتها.

ـ على المرء أن يستمر في دفع ثمن أخطائه، لا يمكن لنا أن نعيد عقارب الساعة إلى الوراء.

ـ ولكن لماذا عليك أن تستمر في الدفع؟. حتى الخطاة يغفر لهم، وما فعلته لم يكن خطأ ثم إن معظم المتزوجين يجدون أن ما اعتقدوه حباً لم يكن كذلك.

ـ المسألة أعمق من هذا. . هل نسيتِ الحادثة؟. .

ـ وكيف أنساها، أنا لا أفكر بشيء سواها، ولكنني لا زلت أظن أن ليس من العدل إفساد حياتنا لأجلها، ولا أعتقد بأن زوجتك يمكن أن تكون سعيدة. ويجب أن تعرف بأنك لا تحبها، يجب أن تعرف أنك. .

ـ جينا لا تعرف شيئاً، لقد فعلت ما بوسعي لتبقى على اعتقادها بأنني أحبها.

ـ لا يمكن أن تكون غير حساسة هكذا.

ـ أظن أنني أحكم على جينا أفضل منك، إنها تؤمن بأنني أحبها، وإنني آمل بأن نتمكن يوماً من العيش معاً كزوجين.

ـ أوليفر، أوليفر، لا يمكن لك هذا !.

ـ لا. . لا أستطيع فمنذ أن أحببتك علمت أنني لا أستطيع أن أحضن

امرأة أخرى بين ذراعي، فأنا أريدك أنت.

منذ تلك اللحظة أحست ساندرا أنها تحبه بطريقة مختلفة تماماً، بعطف وحنان كأنه حنان الأم، ولم تعد تفكر بحزنها بل بحزنه، وأحست بأن عليها أن تواسيه.

ـ سامحني يا حبيبي. . كل ما فعلته خلال الأشهر الماضية هو التفكير ببؤسي الخاص، كنت أنانية جداً ولم أفكر بما يعنيه هذا لك.

ـ أنت آخر شخص أعرفه يمكن أن يكون أنانياً.

ـ هذا ليس صحيحاً، كان يجب أن أترك «ش. ت. م.» منذ زمن طويل، لا يمكن أن نستمر هكذا. . سأسافر إلى أميركا. . لقد قال براد إنني سأتلقى قريباً عرضاً جيداً، وليس لديّ عذر للبقاء بعد الآن.

ـ لا يمكن أن تسافري إلى هناك دون طلب، ستذهبين إلى هناك وأنتِ ضعيفة، ولن تصلي إلى القمة بهذه الطريقة.

ـ لا أريد الوصول إلى القمة، ولست مهتمة بمستقبلي المهني، أوليفر ستكون هذه وسيلة للوصول إلى النهاية، سأنشغل وأتوقف عن التفكير بك، فلو كنت فتاة عاملة عادية لما كان عليّ الادعاء طوال الوقت.

ـ أنت لستِ فتاة عادية، ومن الغباء أن تدعي هذا، فعندك موهبة وعليك استخدامها، ولا يجب أن تتوقفي عن الغناء. . هل تسمعيني؟. لا يجب أن تفعلي هذا.

ـ ولكنني. .

ـ لا أريد أن أسمع أي أعذار. . أتعديني بأنكِ لن تتخلي عن مستقبلكِ المهني؟. لن أدعك تذهبين من هنا قبل أن تعديني !.

ونظرت إلى وجهه فعرفت أنه يعني كل ما يقوله، فأجابت بهدوء :

ـ حسن جداً. . أعدك.

والتفت فجأة نحو الباب وحدق إليه، وكان مُغلقاً ثم تحرك نحوه وتوقف :

ـ أستطيع أن أقسم بأن الباب قد انفتح، هل سمعت شيئاً يا ساندرا؟. .

ـ لا. .

وأسرع إلى الباب وفتحه ليُحدق إلى الممر. وقال :

ـ ليس هناك من أحد هنا، لابد أنني مخطىء، الأفضل أن تذهبي .

ودون أن تكون لها ثقة بنفسها لتنظر إليه، أو لتتكلم، فأسرعت تتجاوزه، ولم تتوقف عن الجري إلى أن أصبحت عند نهاية الممر بعيدة عن نظره.

www.elromancia.com

١٣ ـ الرجل غير المناسب

عندما وصلت ساندرا إلى الاستديو، دفعت الفوضى التي واجهتها هناك كل الأفكار الأخرى عن ذهنها. ولم يكن في الإمكان أن يُظن بأن البرنامج سيكون جاهزاً لهذه الليلة، عمّال تغيير المناظر كانوا يغيرون المناظر الموجودة، مدير المسرح كان يُغير علامات الطبشور التي تقود خطوات الممثلين على الأرض، بينما دزينة من التقنيين يتحركون بين ثلاثة كاميرات، يؤخرونها ويقدمونها، والميكروفونات تعلو وتهبط حسب طلبهم، فتاة الماكياج تتفحّص قسمات الممثلة التي ستقوم بالدور اليوم، ويتفحصها كذلك مسؤول الإضاءة، ووسط كل هذا الارتباك كان براد يتنقل من هنا إلى هناك، يُجادل، يستمع ويصدر الأوامر.

ـ يوم آخر كهذا وسأقدم استقالتي. . هل عرفت بما حدث؟.

ـ أجل الممثلة التي تدربت على الدور مرضت هي الأخرى.

ـ وهذا ليس كل شيء، فَمَنْ يقدّم البرنامج الديني أصيب بحادثة سيارة هذا الصباح. وطُلب مني السفر إلى بلفاست للقيام بدوره في الاحتفال الذي سيُبث على الهواء من هناك، لديهم مئات من المتنجين ولم يختاروا سواي !.

ـ وكم ستغيب؟.

ـ أسبوع من الآن، في الوقت المناسب للحلقة القادمة من هذا البرنامج اللعين، الحق أنني لا أجرؤ على إظهارك الليلة، لقد طلبت من مؤلف السيناريو أن يضعكِ في النص الليلة، وإذا لم يتمكن سأستخدمكِ الأسبوع القادم.

فهزت رأسها بالموافقة، فابتسم لها وقال :

ـ لكِ روح رياضية حقيقية يا ساندرا، هل تبقين لتتفرجي أو تعودين إلى المنزل.

ـ سأبقى هنا.

ـ سوف نتمرن لساعتين ثم عليّ الإسراع إلى المطار، ولكن قبل السفر لديّ وقت لعشاء سريع، هل تنضمين إليّ.

وهزت رأسها بالموافقة مرة ثانية، فابتسم وعاد إلى عمله.

وعند الرابعة تقريباً، ذهبت إلى المقهى لتتناول القهوة وبعض السندوتشات، عندما انتهت لم تشأ العودة فوراً إلى الاستديو، بل مرت على مكتب الاستعلامات لتشتري جريدة، وقال لها الحارس بابتسامة :

ـ أذكر دائماً أول مرة أتيتِ فيها إلى هنا، كنت تريدين مقابلة السيد ساندرز وهو يرفض، أتذكرين؟.

ـ لا يمكن لي أن أنسى هذا.

ـ لقد تقدّمت كثيراً منذ ذلك الوقت. . أنت الآن نجمة أفلام معروفة.

ـ لستُ نجمة أفلام !.

ـ أنتِ أفضل بكثير ولا يشكّل هذا فرقاً، ونجوم الأفلام أصبحوا الآن موضة قديمة، نجوم التلفزيون هم المهمون الآن.

ـ أنت تتحدث كموظف مُخلص لدى «ش. ت. م. ».

سمعا الصوت هذا من وراءهما فاستدارا ليشاهدا جينا ساندرز تخرج من المصعد، وابتسمت جينا لها :

ـ لم أركِ منذ وقت طويل، سمعت أنك لاقيتِ نجاحاً كبيراً في أميركا.

ـ أجل. .

وأحسّت بعقدة الذنب أن تقف قريبة من هذا المرأة التي كانت منذ ساعة بين ذراعي زوجها، ولكن جينا لم تكن تلاحظ ارتباكها وتابعت الابتسام لها.

ـ أتمنى أن لا تَدَعي براد يُرهقك بالعمل. إنه مسؤول عمل قاسٍ.

ـ لستُ أهتم. لا يمكن الوصول إلى القمة دون العمل الجاد.

ـ ولكن هل تريدين الوصول إلى القمة؟. .

ولم ترد ساندرا، فاقتربت منها جينا وهمست لها :

www.elromancia.com

ـ هل هذا كل شيء تريدينه من الحياة يا آنسة لاوسون، أن تصلي إلى القمة؟.. أم تفضلين شيئاً آخر؟..

ودون أن تدري لماذا فقد أحست ساندرا أن السؤال يحمل معنى آخر ولكنه معنى لم تفهمه، فهل ترد عليه بشكل عادي أم تنطق بالحقيقة؟..

ـ لا أهتم البتة بالوصول إلى القمة سيدة ساندرز فالشيء المهم عندي أن يحبني الرجل المناسب.

وتنهدت جينا وقالت :

ـ أنا سعيدة لقولك هذا، وكنت آمل أن تقوليه. الرجل المناسب، ولكن المشكلة غالباً أننا لا نعرف مَنْ هو الرجل المناسب قبل فوات الأوان.

وخطت إلى الخلف ونظرت إلى الحارس قائلة :

ـ هل لك أن تُحضر لي تاكسي أرجوك؟..

وأسرع الرجل مُبتعداً، وسُرَّت ساندرا لوصول المصعد، وبابتسامة تمتمت «عن إذنك» ودخلته، وارتجفت من الارتياح عندما أغلق الباب. «الوقوع في حب الرجل المناسب» كلمات جعلتها جينا تبدو، وكأنها نعمة من السماء، هل السبب يا ترى أنها بدأت تستعيد عافيتها من الحادثة وأن تُدرك ما يعنيه أوليفر لها؟.. وملأت الفكرة ساندرا بالغيرة حتى أنها ارتعدت. من بين كل المشاعر، الغيرة هي الأسوأ، لأنها تأكل روح الإنسان وتجعلها مريرة، وقد تجعلها تكره أوليفر كما تكره جينا الآن.

الكلمات جعلتها خلال الساعات التالية تتحرك وكأنها في حلم إلى أن لاحظ براد ذلك بالرغم من انشغاله بمشاكله.

ـ ما بك يا ساندرا.. أنتِ لا تبدين بخير؟.

ـ أنا تعبة فقط، سأعمل بنصيحتك وأعود إلى المنزل بعد أن أودعك..

وتبعته ساندرا إلى مكتبه حيث كانت سكرتيرته قد وضعت له حقيبته والتقطها، وكانا على وشك المغادرة عندما رن جرس الهاتف، فالتقط السماعة ليرد، وما أن سمع الصوت في الطرف الآخر حتى غادرت

الابتسامة وجهه وبالاستماع إليه علمت ساندرا أن المتحدث هو جينا، وتحركت لتخرج، ولكنه أشار إليها أن تبقى، وتحركت على مضض إلى الزاوية البعيدة من الغرفة وحاولت أن تركّز على مجلة التقطتها، إلاّ أنها كانت تستمع إلى المحادثة وإلى صوت براد الحاد والمتوتّر، وهو بالكاد يسيطر على أعصابه. وكان يقول :

ـ من المستحيل أن أجيء الآن لأراكِ.. هناك طائرة يجب أن ألحق بها. انتظري يا جينا، أنا أعلم ماهي الخمس دقائق بالنسبة لكِ، سنمضي نصف ساعة قبل أن أستطيع ترككِ، وستفوتني الطائرة.. لستُ أهتم كم الأمر مهم.. عليك الانتظار.. !.. لأجل السماء!. لماذا لا تقولين لي الآن؟. وما هو الأمر المهم الذي لا تستطيعين قوله على الهاتف؟... لقد تحمّلت ما يكفيني اليوم. وأنا لم أنم الليلة الماضية، أعمل منذ الساعة العاشرة من هذا الصباح. يجب أن أسافر إلى بلفاست، سأعود في الوقت نفسه من الأسبوع المقبل.. بعد موعد الاستعراض.. حوالي التاسعة مساء.

وعلّق السمّاعة مكانها، واستدارت ساندرا إليه لترى وجهه شاحباً من الغضب، ولكنه لم يشر إلى موضوع المحادثة. والتقط حقيبته وخرجا من الغرفة، وفيما تقدّم رجلان منهما قال لها براد :

ـ نستطيع إيصالكِ إلى منزلكِ في طريقنا إلى المطار.

ـ لا تُزعج نفسكَ، سأستقل سيارة أجرة.

ـ ولماذا نضيع المال على تاكسي، بينما نستطيع استخدام سيارة الشركة؟.

وضحك لها، ثم وضع ذراعه حول كتفيها، وقادها إلى الخارج.

استغرق التسجيل في استديوهات «بلاتينيوم» طوال يومي الخميس والجمعة. وعلى عكس التسجيل في التلفزيون كان بإمكانها أن تُعيد أغنيتها مرات ومرات قبل التسجيل النهائي. ومع التعب الذي تملّكها وتملّك التقنيين والفرقة الموسيقية، إلاّ أن الأسطوانة كانت تستحق كل هذا. وذهبت يوم الاثنين إلى «ش. ت. م» تراجع دورها في المسلسل ولم

يكن براد قد اتصل، ولا بأحد آخر، فقد كان يصوِّر البرنامج في أماكن نائية من الريف، ودخلت مباشرة إلى مكتبه لتعرف ما إذا كان قد وصل أي خبر منه، وتوقَّفت سكرتيرته عن الطباعة وقالت :

ـ المكان هادىء دون السيد أدامس. . في الواقع هذه فترة راحة !.

ـ أعرف ماذا تعنين. . أشعر بالشيء نفسه، متى سيصل؟.

ـ أعتقد قبل بث البرنامج على الهواء مباشرة، ولن أراه قبل البرنامج، لدي مئات من الرسائل ولن أستطيع الذهاب قبل أن يوقِّعها !.

ـ خذيها إليه في الاستديو.

ـ لن أجرؤ على هذا، عندما يبث البرنامج عادة يُصبح السيد أدامس كقطة على صفيح ساخن.

ـ أعرف هذا.

ومالت السكرتيرة إلى الأمام متنهدة، وما أن فعلت هذا حتى فتح الباب ودخلت جينا ساندرز، ووقعت علبة شوكولا كانت في يد ساندرا على الأرض فانحنت لتلتقطها، وتضعها في سلة المُهملات فقالت جينا :

ـ يا لضيّاع هذا الشوكولا. . هل هي غلطتي؟.

ـ لا أبداً، لقد انزلقت من يدي.

وتقدَّمت جينا إلى طاولة براد ونظرت إلى سكرتيرته :

ـ ألم يصل السيد أدامس بعد؟.

ـ لا يا سيدة ساندرز، لن تصل طائرته قبل الخامسة، وهذا يعني أنه لن يصل إلى هنا قبل السادسة والربع.

ـ والبرنامج سيبث عند السادسة والنصف، فلن أستطيع رؤيته إلى أن ينتهي البرنامج.

ـ لو أنه وصل قبل الموعد، فسيحضر إلى المكتب، هل ترغبين في انتظاره؟.

وتردَّدت جينا قليلاً ثم جلست :

ـ سأنتظر قليلاً. . اتصلي بالمطار واستعلمي عن موعد الوصول.

وساد الصمت في المكتب، وتابعت السكرتيرة تجميع الأوراق أمامها

ثم قالت فجأة :

ـ الأخبار عن السيد أدامس سارة، أليس كذلك؟.

ورفعت جينا رأسها بسرعة وقالت :

ـ أخبار سارة؟.

ـ حول العرض الذي تلقَّاه من أميركا، لقد وصلت الاتفاقية النهائية منذ أيام، وهي بانتظار توقيعه، كنت أظن أنك على علم بها سيدة ساندرز، لقد أبلغ السيد ساندرز بها، وظننت أنك عرفتِ.

وقالت جينا بسرعة :

ـ أجل. . أجل. . بالطبع أعرف.

ونظرت ساندرا إلى وجهها الشاحب فاقتنعت بأنها تكذب، وأن براد قد تعمَّد إخفاء الخبر عنها، ودفعها الإشفاق إلى أن تتكلم :

ـ لم أكن أعلم بالأمر، براد دائماً يتكلم عن السفر إلى نيويورك ولكنني لم أكن أعلم أن لديه عرضاً محدداً.

واحمر وجه السكرتيرة، وقد أدركت أنها أفشت سراً :

ـ كنت أعتقد أنكما تعرفان. . والسيد أدامس لم يكن ليبقي الأمر سراً هنا في مكتبه.

وردت جينا ببرود، وبصوت واضح :

ـ ليس هناك سر أبداً، أعلم كل شيء ينوي السيد أدامس فعله، أنا فقط لم أكن أعلم أن الاتفاق قد تم نهائياً.

ومع أن ساندرا لم تنخدع بكلام جينا إلاَّ أن السكرتيرة خُدِعَتْ، لأنها ابتسمت بارتياح وأشارت إلى مغلَّف كبير على طاولة براد.

ـ ها هي الاتفاقية هنا. تنتظر توقيعه، إنها من أكبر شبكة تلفزيون في نيويورك. وستضعه رأساً في القمة، ولستُ أدري ماذا سنفعل من دونه هنا، سوف يسافر بعد شهر.

ووقفت جينا بسرعة وحدة حتى أنها أوقعت كرسيها :

ـ لا أظن بأنني سأنتظر ابن عمتي، سأعود إلى شقتي. إذا أتى إلى هنا قبل نزوله إلى الاستديو قولي له إنني أريد رؤيته فوراً !.

www.elromancia.com

وصفقت الباب وراءها، فنظرت السكرتيرة إلى ساندرا.

ـ أعتقد أنني تدخّلت فيما لا يعنيني. . لديّ شعور أنها لم تكن تعرف شيئاً عن عرض نيويورك.

ـ لا داعي الآن للقلق، مع أنه كان من الأفضل لو أنك لم تقولي شيئاً.

ـ لن تقولي للسيد أدامس أليس كذلك؟. سيغضب كثيراً لو عرف.

ـ لن يعرف مني. ولكنني واثقة أنه سيعرف من السيدة ساندرز. الأفضل أن أنزل إلى الاستديو، لا يبدو أنه سيصل باكراً.

وغادرت المكتب، متوجّهة إلى الاستديو، ومع أنها استطاعت أن تفهم لماذا كره براد أن يُخبر جينا عن سفره، إلاّ أنها لم تفهم لماذا لم يذكر الأمر لها، ربما بانتظار توقيع العقد، ولعله يُسافر ليدبر عقداً لها ويواجهها بالأمر الواقع !. ولكن أليس من الحكمة لو أنها تسافر فعلاً إلى أميركا؟. . وأن تضع آلاف الأميال بينها وبين أوليفر؟. . ومع أنها تعرف أن هذا هو المسار المنطقي الذي يجب أن تخطوه إلاّ أن الفكرة لم ترحها، على الرغم من معرفتها بأن لا مستقبل لها مع أوليفر. وملأت الدموع عينيها، فتوقفت ومسحتها. إن الاستمرار في رؤيته لن يسبب لها سوى متابعة تحطيم قلبها أما عدم رؤيته والتحدث إليه، قد يمكّنها من نسيانه.

وقالت مقسمة :

ـ سأذهب إلى أميركا. . سأطلب من براد أن يدبر أمر سفري في أسرع وقت ممكن.

١٤ ـ دماء على يديه

قبل خمس دقائق من موعد بث المسلسل على الهواء. وصل براد، بدا تعباً وغير حليق، وكالعادة عندما يكون شاحباً بدا شعره أكثر احمراراً، ولاحظت ساندرا تصرفاته العصبية وقال وهو يتقدّم منها ويمسك بيدها :

ـ لقد قيل لي إن التمارين كانت جيدة جداً. . يا إلهي، ليس لديك فكرة عن متاعب الأسبوع الذي مرّ بي، شكراً لله إنها ستكون آخر مرة، كيف حالك يا حبيبتي؟.

ـ بخير. .

وتساءلت عما إذا كان الأفضل أن تخبره بأن جينا تعرف بأنه يتحضّر إلى توقيع عقد السفر إلى أميركا. فليس الأمر من شأنها، ومع ذلك فقد شعرت بأن الأمر لم يعد سراً :

ـ براد. . أنا. .

وسمع التقني يقول :

ـ دقيقة لبدء البرنامج، الجميع إلى مركزه أرجوكم.

وتحرك براد ليبتعد فأمسكت ساندرا بذراعه وقالت بسرعة :

ـ براد. . جينا تعرف.

فاستدار بسرعة :

ـ تعرف ماذا؟.

ـ حول عقدك مع نيويورك. . كنت جالسة في مكتبك أتحدث مع السكرتيرة عندما دخلت. . و. .

ـ لا تقولي لي إن هذه البلهاء أفشت السر؟. . يا إلهي. . أليس لدى هذه الفتاة أي كتمان للأسرار. .

ـ لا تستطيع لومها. لقد كانت تظن أن جينا تعرف. . وجينا قادتها

www.elromancia.com

للاعتقاد بأنها تعرف.

ـ فهمت. . وماذا قالت ؟. .

ـ لا شيء. . بدت وكأنها تقبّلت الخبر بشكل جيد.

ولم يرد، ولكن لسانه أخذ يمر فوق شفته السفلى، وعرفت ساندرا بأنه مستاء، ونادى الصوت من جديد :

ـ عشر ثواني. . الهدوء أرجوكم.

واتخذت ساندرا موقعها، واشتعل الضوء الأحمر، وتقدّمت الكاميرا من وجهها فابتسمت. وقامت ساندرا بدورها دون أي خطأ، ثم غنّت أغنيتها، واستمعت إلى التصفيق المُسجّل، وتساءلت عما إذا كان المشاهدين سيلاحظون أنه صادر من التسجيل !.

ـ دقيقتان للراحة.

وارتاح الجميع بينما بدأ بث الإعلانات. وأسرعت ساندرا خارج المسرح، وهي مصممة على التحدُّث مع براد ثانية. من المؤسف أن يصب براد غضبه على السكرتيرة، فعلى الرغم من أنها أفشت السر، إلاّ أنها لا تُلام، وكانت مستغرقة في ما تفكر به حتى أنها لم تلاحظ رجلاً يتقدم نحوها إلى أن اصطدمت به، وتراجعت إلى الخلف لتدرك بأنه أوليفر ساندرز !. ما هذا الحظ السيىء الذي أتى به الليلة إلى الاستديو؟. ولكن يمكن أن لا تكون الصدفة فلا بد أنه يعرف بأنها ستظهر في البرنامج !.

ـ كان عليَّ أن أجيء إلى هنا، كنت في المبنى ولم أستطع الابتعاد منذ رأيتك الأسبوع الماضي، ولم أستطع إبعادك عن تفكيري.

ـ وهل تظن أنني كنت أفضل منك؟. مئات المرات أردت أن التقط الهاتف لأتحدث إليك، ولكنني كنت أتذكر ما قلته لي، ليس لنا مستقبل معاً يا أوليفر، ورؤيتك دائماً تزيد الأمر سوءاً.

ـ كان يجب أن أتحدث إليك، هناك شيء يجب أن أقوله.

ـ ليس لدينا شيء نقوله، فالوضع لم يتغير. . و. .

ـ لستُ واثقاً من هذا.

ـ وماذا تعني؟.

ـ لقد قالت جينا شيئاً. . منذ بضعة أيام جينا. . اللعنة !. لا أستطيع التحدث معك هنا يا ساندرا.

وسارت أمامه نحو الباب الخلفي، وما أن أصبحا لوحدهما في الممر، حتى أمسك بيدها، ممسكاً بأصابعها يضغط عليها حتى أنها صرخت من الألم.

ـ أنا آسف !. ولكن من المؤلم أن أكون قريبك دون التمكُّن من لمسك . تعالي إلى شقتي ففي مكتبي لا يمكن التأكد من عدم إزعاجنا.

ـ ماذا تريد أن تقول لي؟.

ـ انتظري إلى أن نصل إلى الشقة.

وما أن أصبحا داخل الشقة حتى صاح :

ـ أوه يا ساندرا، لن أستطيع الكلام قبل أن أعانقك !.

ولكنها دفعته عنها.

ـ ما الأمر يا ساندرا؟.

ـ لا أعرف. . ردة فعل كما أعتقد، طوال الأسبوع وأنا أقول لنفسي إنني لا يجب أن أحبك، وعليَّ أن أعتاد على عدم رؤيتك ثانية.

ـ أفهم ما تعنينه يا حبيبتي.

وفتح باب غرفة الجلوس.

ـ تعالي لنتكلم هنا. . يا إلهي !.

وتوقف فجأة حتى أنها اصطدمت به.

ـ ما الأمر يا أوليفر؟. . . ما الأمر.

ودون أن يرد أسرع نحو المدفأة وركع أمام جسد ممدَّد أمامه، ولحقت به ساندرا واتسعت عيناها من الرعب. وهي ترى جينا ممدَّدة هناك، كانت مرتدية الثوب البيج الذي كانت ترتديه قبل ساعة في مكتب براد، ولكن لونها الآن مخضب بدماء سالت من جبينها على وجهها وكتفها. وحاولت ساندرا خنق الرعب الذي غمرها !. .

ـ هل هي مصابة؟. . ولم يرد أوليفر، بل وضع ذراعه تحت خصر جينا ورفعها، وتدلّى رأسها إلى الخلف كالدمية، وظهر في المكان الذي

كانت ممدَّدة فيه بقعة كبيرة من الدم، وقال بصوتٍ أجش وهو يمددها على الأريكة :

ـ لا بد أنها وقعت، كنت دائماً أقول لها أن لا تضع سجادة أمام المدفأة.

ـ سأطلب الطبيب.

وحدَّق أوليفر إلى جينا فيما تعابير مبهمة على وجهه :

ـ لقد فات الأوان !. فات الأوان لاستدعاء طبيب، لقد ماتت !.

ـ ماتت !. لا يُمكن هذا !.

وهز رأسه بأسى، ووقف ببطء.

ـ لا لزوم لكِ للبقاء هنا يا ساندرا. يجب أن أتصل بالطبيب مع أنه لن يستطيع فعل شيء، ليس هناك شيء يمكن لأحد فعله الآن.

ـ إذا أردتني أن أذهب فسأذهب، ولكن.. من الأفضل أن أبقى معك.

ـ لن يكون هناك فرق.

وتوجه نحو الهاتف، وبعد لحظة أعاد السماعة إلى مكانها ثم عاد إلى جانبها وكانت تقف بعيدة غير قادرة على النظر إلى الجسد المُسجَّى أمامها على الأريكة.

ـ سيحضر الطبيب إلى هنا في أية لحظة الآن. إنه يسكن قريباً من هنا.

ولم يكد ينهي كلامه حتى رن جرس الباب، وأسرعت ساندرا لترد فوجدت رجلاً في أواسط عمره، حاجباه كثيفان، أصلع يحمل حقيبة في يده.

ـ أنا الدكتور جونسون.

فدعته إلى الدخول وتردَّدت أتلحق به أم لا، ثم قرَّرت أن تبقى حيث هي، وبعد لحظة خرج أوليفر واستند على الحائط، وقال :

ـ لم أستطع التحمُّل.. أن أراها مُمدَّدة هناك هكذا..

ولم يتكلم أي منهما، ومرت الدقائق وبدت كأنها ساعات. بعدها

وقف الطبيب عند الباب ووجهه حزين :

ـ ليس هناك ما أستطيع فعله، ولا أستطيع إعطاء شهادة وفاة في مثل هذه الظروف يجب أن يتم تحقيق حول الأمر.

وهز أوليفر رأسه وتوجَّه نحو الهاتف مجدداً وعندما عاد إلى الردهة قال ان البوليس قادم ونظر إليهما الطبيب :

ـ لا بد أن ما حصل صدمة لكما..

فرد عليه أوليفر.

ـ أجل.. هكذا كانت لقد أتيت مع الآنسة لاوسون إلى هنا لبحث بعض أمور العمل و.. وجدنا زوجتي..

ووضع يده على وجهه وأغمض عينيه، غير قادر على المتابعة، ومد الطبيب يده في جيبه وأخرج قرصين من الدواء.

ـ خذ هذه مع بعض الماء، سوف تشعر بتحسن.

ـ أنا بخير شكراً لك.

ـ هراء يا رجل !. افعل ما أقوله لك.. وأنت أيضاً أيتها الشابة، يبدو عليك أنك على وشك الإغماء.

ـ أشعر بهذا.

ودخلت إلى غرفة الجلوس على كره منها، وصبَّت بعض الماء وابتلعت الدواء، وملأت الكوب ثانية وأعطته لأوليفر الذي لحق بها. وراقبته وهو يبتلع الحبوب. حتى هذه اللحظات لم تكن قد استوعبت ما حدث. جينا ماتت.. وأوليفر أصبح حراً.. لم يعد مرتبطاً بامرأة لا يحبها، والقدر القاسي قد تسبَّب في وفاتها، ولكنه ساعد في تقديم أوان سعادتها وارتعدت من أفكارها كيف تستطيع التفكير في نفسها في وقت كهذا؟.. ولمس أوليفر ذراعها، فأدركت أنه يتحدث إليها، صوته خفيض جداً كي لا يسمعه أحد :

ـ كم أنا آسف لتوريطك في هذه المسألة، لماذا لا تذهبين قبل وصول البوليس؟.

ـ لا أستطيع الذهاب الآن، أريد البقاء معك، على كل سيقول

الطبيب إنني كنت هنا. . عندما وجدت جينا وسيطلب البوليس رؤيتي.
وسمعا أصواتاً خلفهما، وتوجه أوليفر نحو الباب، وعاد وإلى جانبه رجل طويل نحيل :

ـ هذا رئيس المحققين السيد بيكمان، وهذه الآنسة لاوسون.

ـ سعيد بلقائك آنسة لاوسون، أنا وزوجتي مُعجبان بك كثيراً، هل كنتِ مع السيد ساندرز عندما وجد زوجته؟. .

ـ الآنسة لاوسون حضرت إلى هنا لنبحث في أمر عقد. . ودخلنا الغرفة وأنت تعرف الباقي.

ـ هل كانت السيدة ساندرز على الأريكة؟. .

ـ لا كانت ممدَّدة على الأرض وحملتها إلى هنا، وعندها أدركت أنها ميتة.

ـ فهمت. . . لو سمحتما أن تنتظرا في الخارج، لن أستبقيكما كثيراً.

ـ هل من مانع لو انتظرنا في غرفة الطعام؟. .

ـ بالطبع لا.

وجلست ساندرا إلى الطاولة وقد شبكت أصابعها، تحاول مقاومة شعور بالغثيان، ثم دخل المفتش ثانية وقال :

ـ هل تستطيع إعلامي عن الوقت بالتَّحديد الذي اكتشفت فيه جثة زوجتك على الأرض.

ـ منذ نصف ساعة تقريباً، كان هذا بعد بث الإعلانات في البرنامج مباشرة أي أربع عشرة دقيقة بعد السابعة. تحدثت مع الآنسة لاوسون في الاستديو لدقيقتين ثم صعدنا إلى هنا أظن أننا دخلنا غرفة الجلوس السابعة وعشرين دقيقة.

وهز المفتش رأسه :

ـ وأين كانت السيدة ساندرز ممددة بالضبط عندما وجدتها؟.

ـ لقد قلت لك. أمام المدفأة لا بد أنها وقعت واصطدم رأسها بالحاجز لا بد أن السبب كعب حذاءها العالي السخيف !. . وتلك السجادة اللعينة قرب المدفأة، كنت أقول لها دوماً إن من الخطر وضعها هناك.

ـ هكذا إذاً. . هل يمكن أن تقول لي إذا كنت قد تشاجرت مع زوجتك مؤخراً سيد ساندرز؟. .

ـ وما شأنك بهذا بحق الشيطان !.

ـ آسف لسؤالي، ولكن هذه طبيعة عملي.

وساد صمت غير مريح وحاولت ساندرا النظر إلى عيني أوليفر، لم يكن من عادته التصرف بهذه الخشونة الحمقاء فهو يعلم أنه لن يستفيد من عدائيته نحو المفتش، ونظر إليهما، فسارعت إلى الإشارة له بعينيها وشعرت بالارتياح عندما شاهدت غضبه يزول عن وجهه، فقال :

ـ أنا من علي أن أعتذر، فأنا أعرف أن هذا عملك، ولكن يجب أن تقدِّر أن ما كان صدمة كبيرة لي.

ـ بالتأكيد يا سيدي، ولكنك لو أجبت على أسئلتي، فسأتركك تذهب في أسرع وقت، هل تشاجرت مع زوجتك مؤخراً؟. .

ـ لقد كانت دائماً. . دائماً متوترة الأعصاب. . ولكننا لم نتشاجر منذ أسابيع. .

ـ وعندما كنتما تتشاجران ما شكل هذا الشجار؟. .

ـ يا إلهي يا رجل، ما هذا السؤال !. ما شكل الشجارات عادة بين رجل وزوجته؟.

وهز بيكمان كتفيه :

ـ قد تندهش، فبعض الأزواج قد يتوصلون إلى تبادل الضرب.

ـ حسناً، أؤكد لك أن هذا لا ينطبق على حالتنا، فزوجتي عادة تميل إلى الهستيريا فتصيح و. . وأحياناً ترمي الأشياء وهي عادة تكسر «فازاً» في الأسبوع، إذا كنت تريد أن تعرف.

ـ وأنت يا سيدي؟. هل تفقد أعصابك؟. وبدت ابتسامة خفيفة على طرفي فم أوليفر، وأجاب :

ـ أنا لا أرمي بالفازات، إذا كان هذا ما تعنيه، وفي الواقع عندما أفقد أعصابي أصبح مُسيطراً على نفسي أكثر من المعتاد.

ـ فهمت. . إذاً أنت لم تضرب زوجتك أبداً؟.

ـ أضربها؟. إلى ماذا تحاول الوصول؟. فمن الواضح أن هذا ليس تحقيقاً عادياً. وأصرّ أن أعرف ماذا وراءه. لماذا تسألني كل هذه الأسئلة؟.

ووازن المفتش بيكمان قلماً على راحة يده، ونظر إليه من تحت حاجبيه الكثيفين، وقال :

ـ طبيب الشرطة أجرى فحصاً سريعاً لزوجتك، ولكنه لاحظ أن هناك علامات على رقبتها من جراء ضغط عليها.

ـ هل تعني بأنها خُنِقَت؟.

ـ لا يا سيدي. . ولكن الوقائع تظهر بأنها دفعت بعنف ووقعت على الحاجز، والشخص الذي فعل هذا هو مسؤول عن التسبُّب بوفاتها.

ـ وماذا يعني «مسؤول عن وفاتها»؟.

ـ حسناً، الحادثة جريمة !. .

١٥ ـ هل تصدقه

لو كان المفتش يقصد فقط خلق الذعر بكلماته هذه، فقد نجح بشكل رائع، ففي اللحظات التي تلت مباشرة قوله هذا لم يتمكن لا أوليفر ولا ساندرا من التفكير بصفاء، ولم تستطع ساندرا سوى أن تتذكر بغموض إخراج جسد جينا ثم الاستجواب الصبور المُرهق الذي أجراه المفتش معهما، ومع ذلك فلم يحصل على أيّ معلومات سوى أن شخصين فقط يملكان مفاتيح الشقة، أوليفر وجينا.

ـ وماذا عن المرأة التي تنظّف الشقة؟.

ـ زوجتي كانت تدبر أمر قدومها عندما تكون هي في المنزل لقد نفذت بنفسها ديكور الشقة وكانت دقيقة إلى حد النرفزة إذا تغيَّر فيها شيء.

المعلومات الأخرى كانت ضئيلة ما عدا أن أوليفر وجينا ذهبا معاً إلى المدينة وانها قد أوصلته إلى الشركة ولم يرها بعد ذلك.

ـ لقد كنت أعمل فترة بعد الظهر في مكتبي، ثم كان لديّ موعد في المدينة.

ـ وهل لديك فكرة عمَّا كانت تفعله زوجتك اليوم؟.

ـ كانت ذاهبة إلى طبيبها.

وشهقت ساندرا فنظر إليها الرجلان، وسألها المفتش :

ـ هل لديك ما تضيفينه على هذا يا آنسة لاوسون؟.

ـ لا شيء حقاً. ولكن عندما رأيت السيدة ساندرز في الأسبوع الماضي كانت أيضاً في طريقها إلى الطبيب.

ونظر المفتش إلى أوليفر ثانية :

ـ وهل كانت مريضة؟.

ـ لا. . ولكن منذ حادثة السيارة قبل سنوات كانت تذهب لإجراء

www.elromancia.com

فحص شامل كل ستة أشهر، ولا أستطيع أن أفهم لماذا ذهبت إلى الطبيب في الأسبوع الماضي، ولماذا ذهبت اليوم أيضاً، فهي عادة تذهب مرة واحدة.

ـ إذاً، لم تذكر لك أن هذه هي زيارتها الثانية للطبيب في فترة قصيرة؟.

ـ لا. . ولكنني واثق أنها لم تكن مريضة، وإلاّ لعرفت بالأمر وفي الواقع لم أرها من قبل بصحة أحسن مما كانت عليه أخيراً.

وفجأة سمعت ساندرا أصواتاً في الردهة وتعرفت إلى صوت براد ثم دخل، وتوقف فجأة بعد أن شاهدها، وأحست بالشفقة وهي تنظر إليه. من بين الجميع، هو الوحيد الذي أحب جينا بالفعل، وهو الوحيد الذي سيحزن على موتها.

ـ ماذا حدث؟. أوليفر. . ماذا حدث؟.

ـ المفتش يظن أن جينا قد قُتلت.

ـ يا إلهي !. لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً ومن يفعل شيئاً كهذا؟. جينا لم تؤذِ أحداً في حياتها. هل كان الأمر بدافع السرقة؟. هل اصطدمت بسارق؟.

ورد عليه المفتش :

ـ ليس هناك أي دليل على وجود سرقة. . أنا المفتش بيكمان. . وأنت. .

ـ براد أدامس، السيدة ساندرز كانت ابنة خالي.

ـ متى رأيتها آخر مرة؟.

ـ منذ أكثر من أسبوع، لقد كنت في إيرلندا لمدة سبعة أيام، وعدتُ هذه الليلة.

ـ ألم تشاهدها الليلة؟.

ـ لا. . لقد أتيت مباشرة من المطار إلى الاستديو، فأنا أنتج مسلسلاً للتلفزيون ووصلت قبل لحظات من بثه على الهواء، والآنسة لاوسون كانت مشاركة فيه. . لا أصدّق ما حدث. . جينا كانت. . مثل شقيقتي

لا أصدق أنها ماتت.

وغرق في مقعد ودفن رأسه بين يديه. .

ـ لا يمكن التصديق أن أحداً قد يريد قتلها. . لقد كانت جميلة، جميلة جداً.

ورفع براد وجهه، فبدت عيناه محمرتين وقال للمفتش :

ـ سأفعل أي شيء للمساعدة في إيجاد الخنزير الذي فعل هذا، أي شيء !.

ـ شكراً يا سيدي. . إذا كان الجميع متعاونين معنا هكذا فسوف نستطيع جلاء غموض هذه القضية خلال أيام.

ـ كان المفروض أن أراها الليلة، أتذكرين يا ساندرا؟. لقد تحدثت إليها قبل سفري وقلت إنني سأراها عندما أعود، لقد وعدتها أن آتي إلى شقتها بعد التاسعة والنصف. .

وعاد إلى دفن رأسه بين يديه، فسأله المفتش :

ـ هل كنت ستراها لسبب معين؟.

ـ كانت تريد أن تقول لي شيئاً، لم تقل ما هو على الهاتف، ولكنني فهمت أنه مهم جداً.

ـ من المؤسف أنك لم تستطع أن تحضر إلى هنا باكراً، فقد كان من الممكن أن تمنع القاتل. . وربما منعت حصول الجريمة !.

ونظر المفتش إلى ساعته وقال :

ـ لا فائدة من إبقاء الجميع هنا، تستطيعون الذهاب إلى منازلكم. ولكن أود أن تخبروا مساعدي عن أماكن وجودكم غداً.

وما أن أصبح الثلاثة لوحدهم، حتى تكلم براد، وكانت كلماته موجهة لأوليفر.

ـ هل لديك فكرة عَمَّنْ فعل هذا؟.

ـ لا. . فأنا مثلك، أجد من الصعوبة التصديق بأن أحداً يمكن له أن يقتل جينا.

ومررت ساندرا يدها في شعرها، وهي تشعر بوجوب مغادرتها المكان

وإلاّ أغمي عليها، ولاحظ براد تغير لونها فتقدم منها فوراً :

ـ هيا بنا يا حبيبتي. . سأوصلك إلى منزلك.

ونظرت ساندرا من فوق كتفه إلى أوليفر وتلقّت منه هزة رأس خفيفة، وقادها براد من الغرفة وبصمت خرجا معاً.

في الصباح كان خبر وفاة جينا ساندرز يحتل العناوين الرئيسية في الصفحات الأولى للصحف، ومع أن كلمة «جريمة» لم تُستخدم، إلاّ أن هناك تلميحات بهذا الخصوص، ولم تستطع ساندرا تحمُّل الانتظار والترقب في منزلها فاستقلت تاكسي إلى الشركة، وكان هناك حشد من الصحافيين عند المدخل فاستطاعت أن تتسلل من بينهم دون أن يعرفها أحد وصعدت نحو مكتب أوليفر، وكان هناك حارس في الممر، وعندما عرفها فتح لها الطريق فسألته :

ـ هل السيد ساندرز في مكتبه الآن؟.

فهز رأسه بالإيجاب، وتابعت طريقها إلى مكتبه.

كان يجلس إلى مكتبه يكتب وعبر الغرفة حدّقا ببعضهما، ولاحظت أنه خلال الساعات العصيبة التي مر بها قد تقدّم في السن، وقال لها بهدوء :

ـ ما كان يجب أن تأتي. . فأنا أريد إبعاد اسمك عن الموضوع كله.

ـ لم أستطع الابتعاد كنت آمل أن تتصل بي.

ـ لم أفعل هذا متعمداً فقد يكون البوليس يسترق السمع إلى المكالمات.

ـ أوه يا أوليفر لا يمكن أن يظنوا بك.

ـ الزوج هو أول متهم منطقياً.

ـ لا. . !.

وركضت إليه وارتمت بين ذراعيه، فتراجع قليلاً، ولكن للحظة، والتفت ذراعاه حولها ليضمها إليه.

ـ ساندرا يا حبيبتي لطالما تمنيت أن أتقدم منك وأنا رجل حر لتكوني زوجتي ولكنني لم أكن أريد أبداً أن أحصل على حريتي بهذه الطريقة

وهذه الظروف، أحبك، ولكنني لا أستطيع أن أقتل لأحصل عليك.

ـ لا حاجة بك للقول هذا يا أوليفر أعرف أنك لا تستطيع أنا أحبك وأثق بك.

ـ أشكر الله على هذا، حبيبتي ساندرا لقد طلبت منك أن تأتي معي إلى الشقة ليلة أمس لأقول لك شيئاً. منذ عدة أيام، أسبوع تقريباً، عرضت عليّ جينا أن تعطيني حريتي، أتذكرين عندما كنت في مكتبي الأسبوع الماضي؟. كنت أعانقك وظننت أنني سمعت الباب يفتح، ولكن عندما نظرت في الخارج لم يكن هناك أحد، ولكن أحدهم فتح الباب بالفعل. . وكانت جينا.

ـ أتعني أنها شاهدتنا؟.

ـ أجل. . وعندما عدنا إلى الشقة تلك الليلة أخبرتني.

ـ إذاً لهذا أرادت أن تكلّم براد !.

ـ وماذا تعنين. . ؟. ومتى كان هذا؟.

ـ مررنا بمكتبه ليحضر حقيبته للسفر إلى بلفاست فاتصلت به طالبة رؤيته لأمر ضروري وعاجل، ولكنه رفض متذرعاً بأن الطائرة ستفوته. وفقد براد أعصابه وقال لها إنه سيتحدث إليها عندما يعود. لهذا صعد إلى الشقة بعد انتهاء البرنامج ليلة أمس.

ـ فهمت، لا بد أنها كانت ستخبره بأنها تعرف بأننا نحب بعضنا.

ـ ولماذا لم تقل لي هذا من قبل؟. .

ـ لم أرَ فائدة من ذلك .

وأحست بالدماء تجف من وجهها ولاحظ أوليفر التغيير فتقدم منها وركع أمامها.

ـ حبيبتي لا تنظري إليّ هكذا، يجب أن تعرفي أنني ما كنت أستطيع قبول عرضها، ألم تفهمي بأنها عرضت عليّ حريتي لأنها كانت تفكر بسعادتي وكيف تظنين بأنني شعرت إزاء هذا العرض؟.

ـ ولكن، لو أنها شاهدتنا معاً، لو أنها علمت أنك لا تحبها. .

ـ لم أكن أستطع تركها، كان من واجبي أن أبقى معها وأعطيها فخامة

مركزي، اللعنة يا ساندرا!. هذا كل شيء كنت أستطيع أن أعطيه لها!.

ـ وما الذي جعلك تقرر أن تخبرني بالأمر؟.

ـ لا أعرف. طوال هذا الصباح وليلة أمس لم أستطع أن أحلل دوافعي. كنت أعمل في مكتبي يوم أمس، وكان عليّ أن أنزل إلى الشركة لأحضر بعض الأوراق، وكنت أعلم أنك في الإستديو وشعرت فجأة برغبة في أن أقول لك.

ووضع رأسه في حضنها، ومسحت على شعره، ولم يسمع أي أحد منهما الباب قد فتح، وسمعا كحة صغيرة جعلتهما يرفعان نظرهما ليشاهدا المفتش بيكمان يحدّق إليهما.

ـ أنا آسف لإزعاجكما. . لقد قرعت الباب ولكنكما لم تسمعا.

ووقف أوليفر ببطء وهو يقول :

ـ ماذا أستطيع أن أفعل لك؟.

ـ عندي شيء أقوله، لو تفضّلت بالخروج معي، لن يستمر الأمر أكثر من لحظة.

ـ تستطيع قول أي شيء أمام الآنسة لاوسون فلا فائدة من التظاهر بأنك لم تشاهدنا معاً.

ـ لم أكن أنوي أن أتظاهر بشيء، وليس من عملي أن أعلّق على شيء دون ضرورة.

ـ بما أنك دبلوماسي هكذا أيها المفتش، أود أن تكون أول من يعلم بأنه عندما تنتهي هذه. . عندما تتوضح القضية، أنوي إعلان خطبتي للآنسة لاوسون.

ـ حقاً يا سيدي؟. علي أن أقول إنها خطوة حكيمة بأن تخفي الأمر إلى أن يتوضح كل شيء.

وتقدّم من طاولة أوليفر وتابع :

ـ لو غفرت لي بسؤالي سيد ساندرز هل كانت تعرف زوجتك ما هي مشاعرك تجاه الآنسة لاوسون؟.

ـ في الواقع أجل!. ولقد عرضت عليّ حريتي منذ أسبوع.

ـ حقاً!. وماذا قلت لها!.

ـ رفضت!. لأسباب خاصة أفضل أن لا أذكرها.

ـ وهل رضيت السيدة ساندرز أن تترك الأمر كما هو؟. .

ـ لا. . فمنذ بضعة أيام عرضت عليّ حريتي مرة ثانية.

ـ فهمت. . أنتَ إذاً تطلب مني أن أصدق أن زوجتك عرضت عليك وبإصرار كما تقول، أن تمنحك حريتك، حتى تجد السعادة مع امرأة أخرى؟.

ـ أجل. .

ـ وهل كانت هي تنوي الزواج من رجل آخر؟.

ـ لا. . فزوجتي لا تهتم بأي رجل آخر.

ـ إذاً هذا يجعل عرضها أمراً غير متوقّع.

ـ إلى ماذا ترمي؟.

وجاء صوت الرجل منخفضاً، بلمحة خفيفة من الانتصار.

ـ حسناً. . لقد حصلت على تقرير الطبيب عنها، مما يصعب عليّ تصديق أن زوجتك ممكن أن تعرض عليك حريتك، وخاصة إذا لم تكن تحب شخصاً آخر، لأنها كانت حاملاً منذ ثلاثة أشهر!.

وتصاعد الدم إلى وجه أوليفر، وضغط على يديه معاً حتى أن السيكار الذي كان يحمله تحطم، وتناثر الرماد الساخن فوق الطاولة، وبصيحة دهشة، حاول أن ينظف الطاولة :

ـ لا أصدق. . زوجتي لم تكن قادرة على الحمل، تستطيع سؤال الأخصائي. . وسيقول لك الشيء نفسه.

ـ لقد تحدثنا إلى الأخصائي وأكد لنا حملها، أعتقد أن الأمر لم يكن مُتوقّع، ولكنه مع ذلك واقع.

وجلس أوليفر على الكرسي وهو مذهول، بدا وكأن الكلمات تتصارع داخل حنجرته، وما أن رأى نظرة الرعب على وجه ساندرا حتى صاح بصوت مرتفع :

ـ لا أريد التحدّث عن الأمر. . ولكنني. . لم أكن والد الطفل الذي

www.elromancia.com

كانت زوجتي تتوقعه، فأنا وجينا لم نتعاشر منذ وقعت الحادثة.

ولم يقل المفتش شيئاً. وحدّق إليه أوليفر، وللمرة الأولى ظهر على وجهه القلق.

ـ يجب أن تصدقني أيها المفتش، إذا كانت زوجتي حامل، فلا بد أن لها عشيق !. .

وبدا أن الكلمات أطلقت مشاعر ساندرا من الصدمة فقفزت لتقترب من أوليفر وقالت :

ـ أوليفر على حق، إذا كانت السيدة ساندرز قد قتلت فلا بد أن عشيقها مَنْ قتلها.

فسأل المفتش بخشونة :

ـ ولماذا؟.

ـ ربما أرادته أن يتزوجها ولم يستطع، ربما لأنه متزوج. قد يكون هناك عدة أسباب، ومن واجبك أنت أن تكتشفها.

ـ أنا أعمل حسب الوقائع، وعليكما أن تعترفا أن الوقائع في هذه القضية لا تتوافق مع الدلائل، فإذا كنت تريد حريتك لتتزوج من الآنسة لاوسون فلا بد أن شغلك الشاغل يجب أن يكون في اكتشاف ما إذا كان لزوجتك عشيق !.

ـ لقد قلت لك، إنني لأسباب خاصة، لم أكن أنوي ترك زوجتي !. .

ـ من الظاهر أن السيدة ساندرز لم يكن لديها المشاعر نفسها من الولاء لك.

ـ لا أستطيع الرد عن زوجتي. . أنا أقول لك فقط ما أشعر به.

ـ حسناً. هذا خارج بحثنا، فنحن لا نتعاطى مع المشاعر، بل ضمن الحقائق، والحقائق تقول إن زوجتك كان لديها عشيق وقد عرضت عليك حريتك، التي رفضتها.

ـ لم أكن أعلم عندها أنها حامل ولو عرفت لتغيرت الكثير من الأشياء.

ـ أتعني أنك لو عرفت لكنت وافقت على الطلاق؟.

ـ بالطبع !. أترى. . لقد كنت تحت انطباع بأن جينا ترغب في إعطائي حريتي لرغبتها في إعطائي السعادة، ولم أكن أدرك أنها تريد الحرية كي تجد سعادتها هي، لو أنها فقط كانت شجاعة لأخبرتني بالحقيقة !.

ـ ولِمَ تظن بأنها لم تخبرك بالحقيقة؟.

ـ لا أعلم، تخميناتي كتخميناتك تماماً.

ـ تخميناتك أنها لم تقل لك إنها حامل، لأنك كنت تعلم، وتخميناتي أنك عندما عرفت خفت أن تعرف الآنسة لاوسون أيضاً فالحمل لا يمكن إخفاءه لمدة طويلة !. وعندها قررت أن تبقي الأمر سراً إلى الأبد.

ـ وماذا تعني !.

ـ أنت تعرف أن لا أحد غيرك وغير زوجتك، وغير الأخصائي يعرف بأنها تتوقع طفلاً، وتعلم أنها إذا ماتت فلا أحد سيعرف بالأمر !. .

وكانت ساندرا تستمع إلى الرجل برعب متزايد لكن هدوء كلماته له رنة من الحقيقة تسللت إلى عقلها دون مجال للإنكار ومع ذلك، ومع صدمتها، فإن حبها لأوليفر لا مجال لإنكاره أيضاً، وسمعت نفسها تقول وكأنها على مسافة بعيدة :

ـ وماذا عن براد؟. إنه ابن عم جينا وكانا متقاربين جداً ولا بد أنها أخبرته؟. ألا ترى أيها المفتش، لو أن براد عرف بأمر جينا، ثم حصل أي شيء لها، لكان ارتاب فوراً بأوليفر.

ـ وهل يعرف السيد أدامس انك والسيد ساندرز متحابان؟.

ـ لا. .

وما أن تفوهت بالرد حتى علمت أن دفاعها فاسد، فبراد قد يرتاب بأوليفر لو أنه عرف أسباب رغبته بالحرية، ولكنه لا يعرف فابتسم المفتش بحزن وقال :

ـ أنا آسف آنسة لاوسون، لا ألومك على المحاولة، ولكنها في الحقيقة

لا تمثل دفاعاً. ولكننا نعرف من دون أدنى شك أن لا أحد غير السيد والسيدة ساندرز والأخصائي يعرف بأمر الطفل.

وسأله أوليفر :

ـ ومتى عرفت زوجتي بالأمر؟.

ـ من الواضح أنها قابلت الأخصائي في الأسبوع الماضي وأخبرها ونظرت ساندرا إلى المفتش، ولكن الكلمات التي كانت ستقولها ماتت قبل أن تنطلق منها. . لو أن أحداً يصدق أوليفر، لو أن أحداً يقتنع أنه يقول الحقيقة بأنه ليس والد طفل جينا، لصدق عندها وجود رجل آخر في حياتها، ولكن المفتش بيكمان لا يصدق !. واستدارت بقوة لتواجه أوليفر قائلة :

ـ أنا أصدقك يا حبيبي.

وكأن كلماتها سلبت منه القدرة على الكلام ونظر إليها بصمت وكل الحب في عينيه، وقال للمفتش :

ـ هناك اثنان من أقرب أصدقائي يعرفون الوضع الحقيقي بيني وبين زوجتي، ولست أقترح عليك أن تسألهم لتعرف ما إذا كنت أقول الحقيقة، فإذا لم تكن تصدقني، فلن تصدقهم، ولكنهم لا يعرفون بحمل جينا، وستثير معرفتهم بالأمر الكثير من الأقاويل، لذا لا فائدة من أن يعرفوا، الفتاة المسكينة لم تكن أبداً سعيدة في حياتها فلندعها ترقد الآن بسلام.

ـ ولكن الحقيقة ستظهر في النهاية كما أخشى ولا حاجة لأن يعرف أحد فالأخصائي والآنسة لاوسون وأنت الوحيدون الذين تعرفون وأظن أن بالإمكان الاعتماد على كتماني.

ـ نعتمد تماماً. . والآن إذا لم يكن لديك شيء آخر تقوله. .

ـ أخشى أنني لم أنته بعد يا سيدي، في الواقع هناك بضعة أسئلة نود أن تجيب عليها، وقد تسهّل علينا المسألة لو أتيت معنا إلى الدائرة.

ـ هل هذا أمر أم طلب؟.

ـ الأفضل أن أنظر إليه كطلب، ولكن إذا رفضت سأضطر إلى إصدار أمر.

ـ حسن جداً. . سأذهب فوراً. . لو أعطيتني دقيقة مع الآنسة لاوسون لوحدنا.

وخرج المفتش من المكتب، وما أن أغلق الباب خلفه حتى وضع أوليفر يده على ذراع ساندرا وقال :

ـ هل تعنين ما قلته الآن؟. أم أنك قلت هذا في محاولة لمساعدتي؟.

ـ أنا أصدقك يا أوليفر، ولا أعلم ما هي الحقيقة، كل ما أعلم أنك لا تكذب.

ـ أحمد الله أنك لا زلت واثقة بي. . أستطيع تحمّل أي شيء الآن.

وأمسك بها قريباً منه، ومرر يده على شعرها وضغط عليها وبعد لحظة دفعها عنه وسار نحو الباب، وعندما وضع يده على المقبض استدار إليها وقال :

ـ إذا قرر المفتش استبقائي في الدائرة، فلا أريدك أن تذهبي إلى هناك.

ـ ولكن. .

ـ لا. . فأنا أريدك أن تبقي بعيدة عن القضية هل تسمعين؟. بعيداً جداً عنها، سأتصل بك بأسرع وقت ممكن.

ـ حسن جداً. .

وامتلأت عيناها بالدموع فحاولت منعها وما أن اتضحت لها الرؤية حتى أدركت بأنها أصبحت وحيدة، فغرقت في المقعد مُخدَّرة الحس وخائفة إلى حد العجز عن التفكير.

١٦ ـ حب في السجن

بعد أن غادر أوليفر إلى دائرة الشرطة «السكوتلانديارد» غادرت ساندرا إلى منزلها وأخذت تنتظر اتصاله بها، ولكن بعد الظهر انقضى دون خبر عنه، فاستنتجت أنه بقي هناك. ولازمت أعماق ذهنها فكرة!. هل اعتقل أوليفر؟. وبدا لها الأمر لا يُصدَّق ولكنها تعرف أنه واقع، فإذا كان قد تأخر الاعتقال، فذلك بسبب انتظار المفتش بيكمان لأدلة ثابتة وتمنَّت لو أنها تعرف اسم محامي أوليفر لتتصل بهم وتخبرهم بما حدث. حوالي الساعة السابعة رن جرس الباب وأسرعت لترد، فشاهدت براد، وبدا شاحباً جداً، وعيناه تلمعان مما ذكَّرها على الفور بجينا، وقال لها:

ـ هل لي أن أدخل؟.

ـ بالطبع.

وسار نحو غرفة الجلوس، وأخذا يحدقان إلى بعضهما، ثم قال لها:

ـ أظن بأنك عرفت أن أوليفر بقي في الدائرة للاستجواب. الخبر قد شاع في «ش. ت. م.»

ـ أجل أعرف هذا، كنت في مكتبه عندما أخذه المفتش بيكمان.

ـ وهل قال بيكمان شيئاً مُحدَّداً؟.

ـ لا.. كل ما قال ان هناك بعض الأسئلة يريد طرحها على أوليفر..

ـ فهمت.. كنت أعرف دوماً أن الحياة صعبة مع جينا، ولكنني لم أكن أفكر أبداً بأنه سيصل إلى حد قتلها.

ـ كيف تقول شيئاً كهذا؟. أنت لا تصدق أنه فعل هذا!. أنت تعرفه جيداً..

ـ أنا أعرفه أكثر مما تعرفينه أنت لقد قلت لك إن له طبعاً رهيباً. ومن الواضح أنه فقد أعصابه مساء الاثنين.

ـ هذا ليس صحيحاً!. أوليفر لم يفعل هذا. لا بد أنك مجنون لاعتقادك بمثل هذا أعلم كم تحب ابنة خالك، ولكن لا يجب أن يُعميك هذا عن نوعية أوليفر، وأقول لك إنه لا يُمكن أن يفعل هذا.

ـ ما بالك يا ساندرا؟. لا تصرخي عليَّ هكذا.

وحدَّقت إليه، ولم تعد قادرة على تمالك نفسها، فانفجرت بالبكاء، ودفنت رأسها بين يديها، وأخذت تنتحب وكأن قلبها سينفطر، وبعد لحظة أحست بذراع براد حول كتفيها يجذبها إلى الأريكة ويُجلسها مستندة إليه.

ـ هس.. يا حبيبتي، لا تبكي هكذا، عليك بمواجهة الحقيقة مهما كانت مريرة.

ـ ولكنه لم يفعل.. أنا أحبه يا براد، وأعرفه أكثر منك.

وأدركت ساندرا متأخرة ماذا قالت، لقد قالت لبراد أخيراً إنها تحب رجلاً آخر. وأصبح من المستحيل إرجاع الكلمات، فرفعت رأسها لتنظر إليه، لتلاحظ أنه أصبح أكثر شحوباً.

ـ أنت مُرهقة، ولا تعرفين ماذا تقولين.

ـ بل أعرف. أحب أوليفر، لقد أحببته منذ مدة طويلة.

ـ أنت تحبينه لمركزه، ولأنه مالك «ش. ت. م» وأنت واحدة من نجومه.

ـ إذا كنت تعني ما تقول، فأنت لا تعرفني جيداً كما تقول، فأنا لست فتاة تستحوذ عليها السلطة والمركز، لقد أحببت أوليفر منذ أول مرة شاهدته.. ومنذ كنَّا في نيويورك...

ـ إذاً لقد رأيته هناك؟.

ـ أجل.. أتذكر بأنني بقيت هناك بعد إنهاء عملي؟. لقد طلب مني أوليفر ذلك.. وأمضينا الأسبوع معاً.

ـ لا تقولي لي إنكما أصبحتما عاشقين؟.

ـ لا..

ـ أشكر الله على هذا. ما كنت تحمَّلت الأمر لو أنك سمحت له..

www.elromancia.com

أوه يا حبيبتي.. أنت لا تُدركين ما تقولينه. أعرف بأنك ظننت نفسك بأنك تحبين أوليفر، ولكن صدقيني، الأمر مجرَّد حب الأبطال. لقد أثَّر عليك باهتمامه بك، ولكنك نجمة الآن. ولا تحتاجينه بشيء.

ـ عملي لا علاقة له بحبي.. أنت دائماً تخلط بين الأمرين. في الواقع عندما أتزوجه سأتخلَّى عن عملي تماماً.

ـ لا بد أنك جُنِنْتِ.

ـ لا.. بل أنا واقعة في الحب.

ـ مع مجرم!..

ـ أوليفر ليس مجرماً.

ـ ولكن البوليس يظن هذا، انظري يا ساندرا، لن أتحدث بالأمر بعد الآن. أنت عاطفية ولا تنظرين إلى الأمور بصفاء. ولكنني لا أظن ما تشعرين به نحوه سيدوم.

ـ انتظر أن يُطلق سراحه. وسأثبت لك أنك مخطىء.

ـ لن يُطلق سراحه، فأنا مؤمن أنه قتل ابنة خالي، ولهذا السبب لا يهمني ما يحصل له.

ولمعت عيناه بالدموع التي سالت ببطء على وجهه، ولم يحاول منعها، بل كان فخوراً بحزنه ولم يحاول إخفاؤه.

ـ لقد أحببت جينا كأخ. وكنت أعلم أنها ليست سعيدة مع أوليفر. وأملت أنه يوماً ما سيعاملها كامرأة وليس كآلة. وها أنت تقولين لي بأنك تحبينه، واندهشت لأنني شعرت بالمرارة، انني لست سعيداً لأجلك. ولكن كيف تتوقَّعين مني أن أكون سعيداً، في وقت قتل فيه أوليفر جينا كي يكون حُرّاً فيتزوجك.

ـ ولكنه لم يقتلها.

ـ ومَنْ فعل هذا إذن؟. أجيبني على هذا السؤال.

هل تتركه يعتقد بأن زواج أوليفر مع جينا قد انتهى عند الحادثة؟. وسمعته يقول بلهجة المنتصر :

ـ حسناً، أنت لا تستطيعين الرد عليّ، أتستطيعين؟. من الواضح أن

البوليس لا يعرف أيضاً. ولهذا اعتقلوا أوليفر.

وأخرج منديله ومسح أنفه ثم تابع :

ـ دعينا من الكلام في هذا الموضوع، إذا كنت تصدقين الأمر أم لا، مستقبلنا هو مع بعضنا، وأنا لا أنوي أن أخسر هذا.

وابتلعت ساندرا ريقها بصعوبة، ولم تستطع لوم براد على مرارته وشعرت بالتعاطف معه، فقالت بصوت منخفض.

ـ شكراً لك، أنا أعتبرك صديقاً، وسأبقى دائماً أعتبرك هكذا.

ـ يبدو أن قدري أن ألتزم هذه الصفة.. أليس كذلك؟. ولكنني تعلمت الصبر منذ أن قابلتك!..

وسار نحو الباب، ثم ضرب جنبه بيده وقال بحدة :

ـ لقد نسيت ما أنا قادم لأجله، إنه برنامج «كوماند» لقد اختاروك للظهور فيه. ألا تعرفين ماذا يعني هذا؟. أنت مطلوبة للظهور أمام الملكة وسيزيد هذا قيمتك الفنية لمعاناً عندما تعودين إلى أميركا.

واعتبر براد صمتها نابعاً من السعادة، وتابع كلامه.

ـ سوف تُذهلين المتفرجين، إنهم من النوع المتكبِّر، ولكنك ستذهلينهم دون شك.

وأضاف :

ـ لست مضطرة لبدء التمارين قبل الأسبوع القادم، لذا أقترح أن ترتاحي في الأيام القادمة وإذا اتصل بك أي صحافي فكوني حذرة فيما تقولينه لهم. لم يربط أحد اسمك باسم أوليفر وما من سبب يدفعهم لهذا الربط.

ـ أجل ما من سبب قط.

ـ إلاَّ أنك لو استمريت هكذا، فلا بد أن يجمع أحد الشرطة واحداً مع واحد ويتوصَّل إلى شيء ما.

ـ أنا لا أخجل من حبي أوليفر.

ـ ربما لا. ولكني لا أظن أن عائلتك تتألف من نفسك فقط، ولن ترغبي في مجيء الصحافيين إلى هنا، ولن يكون هذا جيداً لأمك.

وأدركت الحقيقة، فهزت رأسها بالموافقة، فظهرت الراحة عليه.

ـ عمت مساءً يا حبيبتي، أنا آسف لأنني ظهرت وكأنني أستأسد عليك ولكنني أعتقد أنك بحاجة لبد قوية تُسندك في هذه اللحظات.

وخرج مُغلقا الباب وراءه، اقتربت ساندرا من المدفأة، تُحدِّق إلى الجمرات، كانت ترتجف بالرغم من أنها في فصل الربيع. ومرَّ الأسبوع بطيئاً ولم يكن هناك أي خبر عن أوليفر، ولا ذكر للقضية في الصحف، ووصلها اتصال من محاميه يذكُرها بعدم الاتصال به وأنه بخير تماماً. وسُعِدَت عندما حل يوم الجمعة وأصبح بإمكانها الذهاب إلى «ش. ت. م».

الدخول إلى المبنى أعطاها شعوراً وكأنها عائدة إلى منزلها، وأحست كم أن المبنى عابق بشخصية أوليفر، ومن الصعب التصديق بأنه قد لا يعود إلى هنا أبداً. عندما دخلت مكتب براد كان يعيد سماعة الهاتف إلى مكانها فقال لها :

ـ لا داعي لسؤالك عمَّا كنت تفعلين طوال الأيام الماضية، فوجهك يُظهر لي بأنك لم تنامي كثيراً.

ـ لقد كنت أتناول أقراصاً منومة، ولكنها لم تساعدني.

ـ ما زلت غير قادرة على تقبُّل الحقيقة. . . هه؟. حسناً لقد دبَّرت لك مقابلة معه !. أعتقد بأني أبله، ولكنني أحبك وأعلم أن الطريقة الوحيدة لجعلك تواجهين الحقيقة هي في مقابلة أوليفر بنفسك. تعالي. . سنذهب الآن.

ـ أتعني إلى «سكوتلانديارد»؟.

ـ أجل. . لقد قال المفتش بيكمان أن بإمكانك رؤيته إذا ذهبت إلى الدائرة خلال نصف ساعة. . لذا من الأفضل أن نذهب الآن. فلن تتمكني من متابعة عملك حتى ننتهي من هذا الأمر.

ومع أنها كانت متحضرة لرؤية بعض التغيير فيه، إلاَّ أنها دُهِشَت لمنظره، إذ بدا أنه كبر عشر سنوات. وعندما تكلَّم كان صوته هادئاً كما كان، ونظراته حادة ومخيفة، وقال :

ـ أعتقد أنني طلبت منك أن لا تأتي.

وأجابه براد :

ـ لقد أتيت بها أنا، فهي لن تُصبح في حالة تسمح لها بالعمل قبل أن تراك، ولا أحد يعرف أننا هنا، وتأكَّدت تماماً أن أحداً لم يلحق بنا. وليس لدي ما أقوله لك، لذا سأنتظر في الخارج.

ـ لا أعتقد بأنك ستصدقني إذا قلت لك بأنني بريء؟.

ـ لا. . .

واستدار براد وخرج. وما أن أصبحا لوحدهما حتى رمت ساندرا بنفسها بين ذراعي أوليفر، وحاولت أن تخفي دموعها حتى لا تسبِّب له الانهيار. وقالت له :

ـ أنت لم تفعل هذا، لا يُمكن لهم أن يستبقوك هنا بسبب شيء لم تفعله. أوه يا أوليفر. . ماذا سيحدث؟.

ـ لا أعرف يا حبيبتي.

ـ ولكن ماذا يريدون؟. ماذا يسألونك؟.

ـ الشيء نفسه مرات ومرات، فلست أملك تفسيراً لغيابي في الوقت الذي قُتِلَت فيه جينا، ويجبروني أن أعيد سرد تحركاتي على أمل أن أزلق بشيء.

ـ إذا كنت تقول الحقيقة فكيف يُمكن أن تزلق؟.

ـ إذا كنت أقول الحقيقة، المشكل أنك وحدك مَنْ يُصدقني. وبيكمان لم يُصمِّم على رأي بعد، وهو يريد التصديق بأنني مُذنب ومع ذلك لا يستطيع إقناع نفسه بأن يعتقلني بشكل رسمي.

ـ ولكنه لا يستطيع استبقائك هنا إلى مدة غير مُحددة. لابد أن محاميك يستطيعون استصدار كفالة لك؟.

ـ ليس هناك أية كفالة في التوقيف الاحتياطي من أجل جريمة. ولو أردت أن أضغط أكثر لخرجت من هنا بسرعة، ولكنني باقٍ هنا لأنني. . لأن لدي شعور بأن القاتل يعتقد بأنه خارج دائرة الشُبُهات، ومن المُحتمل أن يزلق بشيء.

وقُرِعَ الباب، ووقف أحد رجال البوليس، ونظر باعتذار إلى ساندرا فأدركت أن الوقت قد انتهى، فودَّعت أوليفر وأسرعت إلى الخارج دون أن تحتمل النظر إليه ثانية، وقال لها براد خلال عودتهما إلى «ش. ت. م»:

ـ حسناً.. ما رأيك الآن؟. هل لا زلت متفائلة بإطلاق سراحه؟.

ـ أجل.. لو أن البوليس مُقتنع بأنه مذنب كما تعتقد أنت، لكانوا أوقفوه رسمياً، إنهم فقط يحتفظون به مؤقتاً.

ـ السبب الوحيد الذي يمنعهم هو مركزه ونفوذه.

ـ لو أن أوليفر من النوع الذي يستخدم نفوذه لاستطاع الحصول على إطلاق سراحه فوراً. كان وقت الغداء عندما دخلا إلى «ش. ت. م» وأصرّ براد على أن تذهب معه إلى الكافيتيريا للغداء، بالرغم من عدم شهيتها له، جعلها تشعر بأنها أفضل. وعندما دخلت الاستديو كانت قادرة على التصرُّف بشكلٍ طبيعي وأقبل الناس عليها لتحيتها.

ولاحظت كم أن استعراض «الكوماند» يعني لبراد، فحاولت جُهدها لأن تُدخل الحماس في تمارينها، ولكن دون جدوى. وفي كل مرة كان براد يجبر ساندرا على إعادة أغنية أو مقطع ما، كان التوتر يزداد إلى أن توقفت الموسيقى في الساعة السادسة وعمَّت تنهيدة ارتياح لدى الجميع. وفي غضون لحظات كان الجميع قد غادر الاستديو، وأطفأت الأضواء الرئيسة ولم يبق سوى ضوء واحد مُسلَّط على المكان الذي تقف فيه ساندرا وقال براد لها:

ـ أعلم أنك تعبة، ولكنني لن أسمح لك ثانية بمثل هذا التمرين السيء، عليك أن تعاودي التقاط خيوط حياتك من جديد. وعليك أن تبدأي هذا فوراً!. فهذا سيجعلك تتحملين الأمور بشكلٍ أفضل..

وأدار التسجيل، وصدحت الموسيقى، وتنفَّست عميقاً وبدأت الغناء، ولكن بعد لحظات أوقف التسجيل وتقدَّم نحوها:

ـ لا فائدة.. أنظري يا ساندرا سأُسمِعُكِ تسجيل صوتك.

ـ ولماذا تسجل صوتي وأنا أغني بشكلٍ سيء؟.

ـ لأنني أريد أن تسمعي نفسك!.. وأدركت ذكاء قراره، وانتظرت

إلى أن حضَّر التسجيل وضغط زر التسجيل وأشار إليها براد أن تبدأ:

بينما هي تغني، دخلت الكلمات إلى عقلها اللاواعي، وكيف تستطيع أن تقف هنا تغني بينما في هذه اللحظات قد يُعتقل أوليفر لقتله زوجته؟. وكيف تغني مثل هذه الأغنية العاطفية في وقت تعلم أنه قد لا يكون لها مستقبل مع الرجل الذي تحبه؟. فصاحت:

ـ لا أستطيع الاستمرار.. لا أستطيع!..

ووضعت يديها على وجهها، وبدأت تنتحب، فصاح بها براد:

ـ توقفي عن هذا!. لا يمكنك التخاذل الآن!. يجب عليك الاستمرار!..

ـ لا أستطيع!. لا أريد الغناء ثانية.

ـ لقد اكتفيت من هذا الهراء. سوف تظهرين في الاستعراض وستقدمين استعراض حياتك، والأكثر من هذا، أنك ستسافرين معي إلى أميركا!. لقد وقَّعت العقد، وعندما أذهب سآخذك وسوف نتزوج و...

فصاحت به:

ـ لا!. لن أتزوجك أبداً، لو حدث شيء لأوليفر لانتهت حياتي، انتهت!..

ـ أنت درامية أكثر من اللزوم يا ساندرا.. أوليفر سوف يُدان بجريمته، وحياتك ستستمر.

ـ لا يُمكن أن تؤمن حقاً بأنه قتل جينا.

ـ بالطبع قتلها. لأنه يعرف بأنها لن تُطلقه أبداً.

ـ هذا ليس صحيحاً، لقد عرضت عليه حريته.

ـ ليس أمامنا سوى كلام أوليفر، ولماذا تريد جينا أن تُعطيه الطلاق وهي تتوقع طفلاً؟. لقد قال لك أوليفر أنه يحبك، ولكنه كان لا يزال يعيش مع جينا. و...

ـ لا... هذا غير صحيح.. غير صحيح...!..

وقبل أن يرد براد، دفعته وركضت خارجة من الاستديو، ولم تتوقف إلى أن وصلت إلى نهاية الممر، وتوقفت عند السلم لتلتقط أنفاسها،

وسمعت صوته من خلفها، يرتفع وهو ينادي باسمها، ولكنها بقيت حيث هي. ترتجف وهي بعيدة عن نظره إلى أن سمعت وقع أقدامه تختفي.

عندها ظهرت وركضت صاعدة الدرجات الرخامية نحو المدخل، رغبتها الوحيدة في العودة إلى منزلها مستسلمة إلى حزنها.

١٧ ـ جريمتك الحب

في الطريق إلى منزلها، أخذت ساندرا تراجع ما جرى مع براد. لا بد أنه بعد الليلة سيدرك أن حبه لها ميؤوس منه !. وأنها تريد أن تجعل حياتها جزءاً من حياته !. وهذا شيء عليه أن يعرفه عاجلاً أم آجلاً. إنه يحبها وهي تشعر بالحزن لتسبُّبها بالألم له.

ما أن دخلت منزلها حتى سمعت الموسيقى تنبعث من غرفة الجلوس، وعندما شاهدتها أمها أقفلت الراديو وقالت لها :

ـ أنت تبدين شاحبة بشكلٍ مرعب يا ساندرا. هل هناك أخبار عن السيد ساندرز؟.

ـ لا.. لقد شاهدته هذا الصباح.. ولكن لا أخبار جديدة.. لقد تشاجرت مع براد. وقلت له إنني لن أتزوجه أبداً. وتركته في الاستديو.

ـ حسنا، لا تُقلقي نفسك. إن عليه أن يكتشف هذا عاجلاً أم آجلاً. سأحضر لك فنجان شاي.

وبقيت ساندرا حيث هي، تتساءل لماذا تشعر بهذه المشاعر وبهذا الإرهاق وقلة الاهتمام. هل من الصحيح أن المرء يستطيع تحمُّل الألم إلى درجة معينة بعده لا يعود يشعر بشيء؟. ولكن ما مدى ألمها لو أن براد على حق وثبت أن أوليفر بالفعل مذنباً بجريمة لم يرتكبها؟. وارتعد جسدها والعرق البارد يتفصَّد من جبينها.. أوليفر لا يمكن أن يُدان بجريمة لم يفعلها؟. ولا يهم كم من الناس يؤمنون بأنه مذنب، فإذا كان بريئاً فسوف يُكتشف هذا في النهاية.. ولكن ماذا يحدث إذا لم يُكتشف هذا؟. وصرخت بصوت مرتفع :

ـ لا.. أوليفر يحبني.. ولا يحب أحداً غيري.

لا يمكن أن تقتنع بأنه كان يحيطها بين ذراعيه، ثم يذهب رأساً إلى

www.elromancia.com

ذراعي امرأة أخرى، ومهما اعتقد الآخرون، أوليفر ليس والد الطفل الذي كانت تحمله جينا. . أوليفر ليس. . . وقفزت ساندرا فجأة واقفة، وعيناها تلمعان. . طفل جينا. . أوليفر والمفتش هم وحدهم يعرفون بالأمر، ومع ذلك براد يعرف أيضاً!. منذ أقل من ساعة قال لها إن جينا لا يمكن أن تعرض على أوليفر حريته لأنها كانت تتوقع طفلاً، فمن أخبر براد بالأمر؟. كانت جينا ستخبره قبل سفره إلى بلفاست. ولكنه رفض أن يقابلها، وبدأت ساندرا تذرع الغرفة جيئة وذهاباً.

الطريقة الوحيدة ليعرف براد، هي بأن يكون قد رأى جينا قبل أن تُقتل. بكلمات أخرى، لقد قابلها بعد أن عاد من إيرلندا. ومع ذلك فقد قال للمفتش إنه لم يرها. وكلما فكرت بالأمر أكثر كلما اقتنعت أكثر بأنه كان يكذب، لا بد أنه رأى ابنة خاله بعد عودته، فعندها فقط يمكن أن يكون عرف عن حملها. ولكن حتى لو رآها، فهذا لا يجعله المجرم، ولكنه كان يكذب. ولماذا يكذب؟. ألم يكن الدافع هو الخوف؟. .

وتوقفت عن السير، وقد اتسعت عيناها من الرعب، لماذا يخاف براد؟. لماذا يخاف، إلاّ إذا كان هو القاتل؟. وتذكرت طبعه العنيف النادر الظهور، والنظرة المرعبة على وجهه التي كانت تقلقها أحياناً عندما كان يتحدث عن تصميمه على جعلها نجمة عالمية، وفوق كل شيء. . هناك حبه لها وخوفه مما قد تفعله جينا عندما تكتشف هذا الحب.

وبدأت عدة أشياء تتمركز في مكانها الصحيح : غيرة جينا على براد، تشوقها الدائم لأن تكون معه، وتذكرت ساندرا كل ما قاله لها عن ماضيه، عن طفولته، عن الطريقة التي كانت فيها جينا مشغوفة به وهي فتاة صغيرة، والطريقة التي بقيت فيها متعلقة به وهي شابة، ولا تدري ساندرا ما إذا كان براد يشعر فقط بعاطفة القرابة نحو جينا، ولكن ما من شك في ذهنها، بأن جينا عندما أصبحت زوجة أوليفر كانت تظهر اهتماماً أكثر من اللزوم لطموحات رجل شاب. أجل. . لا بد أن براد عرف كيف يلعب بأوراقه جيداً، وتذكرت ردة فعله عندما سألته صُدفة ما إذا كان نفوذ جينا هو الذي ساعده للحصول على وظيفته، وحده الرجل

الذي يشعر بعقدة الذنب يمكن أن تكون ردة فعله حادة هكذا. واقتنعت أنها أصابت الحقيقة، وأول تفكير لها أن تُبلغ المفتش بيكمان. ولكن ما هو الدليل الذي تملكه على معرفة براد بحمل جينا؟. ولو سأله المفتش، سوف يُنكر أنه ذكر هذا الأمر، وستكون القضية، كلامها في مواجهة كلامه، وبما أنها تحب أوليفر وتفعل أي شيء لإطلاق سراحه وتبرئته، فلن يكون المفتش مستعداً لتصديق كلامها. لا. . عليها أن تحصل على الدليل قبل الذهاب إلى سكوتلانديارد. وفجأة رقص قلبها من الإثارة، إنها تملك الدليل، وهو موجود في الأستديو في هذه اللحظات، منتظراً شخصاً ما ليلتقطه، وكأنما كانت ترى الأشياء أمامها بالفعل، رأت المسجلة، والميكروفون الصغير، والقوي الفعل، موضوع فيها، يسجل بكل قوته الالكترونية، المحادثة التي جرت بينها وبين براد. استطاعت أن تتذكر بوضوح، ودون شكوك، أنها عندما انفجرت بالبكاء وسط أغنيتها لم يُقفل براد المسجلة قبل أن تخرج من الاستديو، كل كلمة قالتها وبراد مسجلة هناك!. وكل ما عليها أن تفعل هو أن تحصل عليها لتُسمعها للمفتش الذي عليه أن يسأل براد عن مكان وجوده ساعة الجريمة.

بالنسبة لساندرا التفكير يعني العمل، وأدركت أن عليها أن تحصل على الشريط فوراً، وركضت إلى الردهة والتقطت معطفها وأسرعت تنزل السلم، وكانت عند المدخل عندما وصل بيري فصاح بها :

ـ هاي. . إلى أين أنت ذاهبة بهذه السرعة؟.

ـ إلى الاستديو. . هناك شيء نسيته هناك. . لا أستطيع التوقُّف الآن.

وأسرعت نحو الشارع ثم إلى موقف التاكسي، تاركة شقيقها يحدق بها بدهشة، وما أن دخل الشقة حتى قالت له والدته :

ـ لقد وصلت في الوقت المناسب لتناول الشاي مع ساندرا.

ـ لقد كادت توقعني عند المدخل، إنها عائدة إلى الاستديو.

ـ ولماذا؟. لم تصل إلى هنا إلاّ منذ دقائق؟.

ـ قالت إنها نسيت شيئاً.

ذراعي امرأة أخرى، ومهما اعتقد الآخرون، أوليفر ليس والد الطفل الذي كانت تحمله جينا. . أوليفر ليس. . . وقفزت ساندرا فجأة واقفة، وعيناها تلمعان. . طفل جينا. . أوليفر والمفتش هم وحدهم يعرفون بالأمر، ومع ذلك براد يعرف أيضاً!. منذ أقل من ساعة قال لها إن جينا لا يمكن أن تعرض على أوليفر حريته لأنها كانت تتوقع طفلاً، فمن أخبر براد بالأمر؟. كانت جينا ستخبره قبل سفره إلى بلفاست. ولكنه رفض أن يقابلها، وبدأت ساندرا تذرع الغرفة جيئة وذهاباً.

الطريقة الوحيدة ليعرف براد، هي بأن يكون قد رأى جينا قبل أن تُقتل. بكلمات أخرى، لقد قابلها بعد أن عاد من إيرلندا. ومع ذلك فقد قال للمفتش إنه لم يرها. وكلما فكرت بالأمر أكثر كلما اقتنعت أكثر بأنه كان يكذب، لا بد أنه رأى ابنة خاله بعد عودته، فعندها فقط يمكن أن يكون عرف عن حملها. ولكن حتى لو رآها، فهذا لا يجعله المجرم، ولكنه كان يكذب. ولماذا يكذب؟. ألم يكن الدافع هو الخوف؟. .

وتوقفت عن السير، وقد اتسعت عيناها من الرعب، لماذا يخاف براد؟. لماذا يخاف، إلاّ إذا كان هو القاتل؟. وتذكرت طبعه العنيف النادر الظهور، والنظرة المرعبة على وجهه التي كانت تقلقها أحياناً عندما كان يتحدث عن تصميمه على جعلها نجمة عالمية، وفوق كل شيء. . هناك حبه لها وخوفه مما قد تفعله جينا عندما تكتشف هذا الحب.

وبدأت عدة أشياء تتمركز في مكانها الصحيح : غيرة جينا على براد، تشوقها الدائم لأن تكون معه، وتذكرت ساندرا كل ما قاله لها عن ماضيه، عن طفولته، عن الطريقة التي كانت فيها جينا مشغوفة به وهي فتاة صغيرة، والطريقة التي بقيت فيها متعلقة به وهي شابة، ولا تدري ساندرا ما إذا كان براد يشعر فقط بعاطفة القرابة نحو جينا، ولكن ما من شك في ذهنها، بأن جينا عندما أصبحت زوجة أوليفر كانت تظهر اهتماماً أكثر من اللزوم لطموحات رجل شاب. أجل. . لا بد أن براد عرف كيف يلعب بأوراقه جيداً، وتذكرت ردة فعله عندما سألته صُدفة ما إذا كان نفوذ جينا هو الذي ساعده للحصول على وظيفته، وحده الرجل

الذي يشعر بعقدة الذنب يمكن أن تكون ردة فعله حادة هكذا. واقتنعت أنها أصابت الحقيقة، وأول تفكير لها أن تُبلغ المفتش بيكمان. ولكن ما هو الدليل الذي تملكه على معرفة براد بحمل جينا؟. ولو سأله المفتش، سوف يُنكر أنه ذكر هذا الأمر، وستكون القضية، كلامها في مواجهة كلامه، وبما أنها تحب أوليفر وتفعل أي شيء لإطلاق سراحه وتبرئته، فلن يكون المفتش مستعداً لتصديق كلامها. لا. . عليها أن تحصل على الدليل قبل الذهاب إلى سكوتلانديارد. وفجأة رقص قلبها من الإثارة، إنها تملك الدليل، وهو موجود في الأستديو في هذه اللحظات، منتظراً شخصاً ما ليلتقطه، وكأنما كانت ترى الأشياء أمامها بالفعل، رأت المسجلة، والميكروفون الصغير، والقوي الفعل، موضوع فيها، يسجل بكل قوته الالكترونية، المحادثة التي جرت بينها وبين براد. استطاعت أن تتذكر بوضوح، ودون شكوك، أنها عندما انفجرت بالبكاء وسط أغنيتها لم يُقفل براد المسجلة قبل أن تخرج من الاستديو، كل كلمة قالتها وبراد مسجلة هناك!. وكل ما عليها أن تفعل هو أن تحصل عليها لتُسمعها للمفتش الذي عليه أن يسأل براد عن مكان وجوده ساعة الجريمة.

بالنسبة لساندرا التفكير يعني العمل، وأدركت أن عليها أن تحصل على الشريط فوراً، وركضت إلى الردهة والتقطت معطفها وأسرعت تنزل السلم، وكانت عند المدخل عندما وصل بيري فصاح بها :

ـ هاي. . إلى أين أنت ذاهبة بهذه السرعة؟.

ـ إلى الاستديو. . هناك شيء نسيته هناك. . لا أستطيع التوقُّف الآن.

وأسرعت نحو الشارع ثم إلى موقف التاكسي، تاركة شقيقها يحدق بها بدهشة، وما أن دخل الشقة حتى قالت له والدته :

ـ لقد وصلت في الوقت المناسب لتناول الشاي مع ساندرا.

ـ لقد كادت توقعني عند المدخل، إنها عائدة إلى الاستديو.

ـ ولماذا؟. لم تصل إلى هنا إلاّ منذ دقائق؟.

ـ قالت إنها نسيت شيئاً.

ـ أتساءل ما هو؟. أنا قلقة عليها يا بيري. تصرفاتها غريبة، وتشاجرت مع براد وهذا ما كدَّرها.

ـ إنها قلقة على أوليفر، وأشك في أن يكون براد سبب تكدرها.

ـ لست واثقة. . لدي شعور بأن شيئاً قد حدث في الاستديو. لا يعجبني الأمر يا بيري، أتمنى لو أنك منعتها من الذهاب.

ـ لم أستطع، لقد تجاوزتني وكأنها الصاروخ.

ـ هذا ما يجعلني قلقة أكثر، لا يعجبني التفكير بعودتها إلى هناك لوحدها.

ـ أوه يا أمي. . توقفي عن هذا، هناك حوالي ألفي شخص يعملون في الشركة.

ـ ولكن ليس في الاستديو يا حبيبي. . أنا. . .

وخنقتها الدموع وشحب وجهها، فقال بيري :

ـ لا تنظري إلي هكذا، سأذهب بنفسي لأتأكد من سلامتها لأريح بالك فقط.

وهزت السيدة لاوسون رأسها، فربَّت ابنها على كتفها. وأسرع خارجاً إلى الردهة، ودون أن يعرف لماذا، التقط الهاتف واتصل بسكوتلانديارد.

كانت الأضواء خافتة في مبنى «ش. ت. م» عندما وصلت ساندرا إلى هناك، ولكن الباب الرئيسي كان مفتوحاً، وأسرعت تعبر المدخل وتنزل السلم إلى الاستديو في الطابق الأسفل، كان المكان هادئاً والأنوار مُطفأة ما عدا واحداً في الطرف البعيد، وأسرعت في الممر إلى أن وصلت حيث كانت مع براد. ودفعت الباب ودخلت. كان المكان مظلماً، ولم تعرف أين مكان أزرار الإضاءة، فتوقفت تنتظر إلى أن تتعود عيناها على الظلام. وما أن تعودتا حتى لاحظت أن المكان ليس مظلماً تماماً، وأن نوراً لا يزال مُضاءاً قرب طاولة مدير المسرح، وكان نوراً خفيفاً في ظلام الاستديو. ولكنه كان كافياً لترى المسجلة والشريط لا يزال دائراً. إذاً لقد كانت على حق !. براد لم ينس فقط أن يقفل المسجلة بعد أن انفجرت بالبكاء بل أنه

نسيها أيضاً بعد أن ركضت خارجة من الاستديو. وأسرعت تعبر الاستديو ووقع خطواتها يُسمع عالياً، وما أن وصلت إلى المسجلة حتى سمعت صوت دوران الشريط، ومدت يدها لتوقفه. وفجأة ظهرت يد أخرى غطت يدها، وبصرخة رعب نظرت لتشاهد براد. وبصمت أخرج الشريط من مكانه ووضعه في جيبه، عيناه فقط كانت تلمعان، وقال بصوت خفيض :

ـ كُنت خائفاً من أن تعودي، كنت خائفاً أن تتذكري محادثتنا وتجمعي واحداً مع واحد ، أترين، لقد عدت إلى المنزل مثلك وبدأت أفكر بمشاجرتنا، وتذكرت ما قلته، وعدت فوراً لإتلاف الشريط وللأسف أنك وصلت قبلي. ولو لم تفعلي لأتلفته، ولكانت كلمتك مقابل كلمتي.

ـ وهكذا لا تزال كلمتك مقابل كلمتي. . الشريط الآن معك، ولست قوية كفاية لأنتزعه منك.

ـ لا. . لست قوية كفاية، ولكنني لن أمنعك من الذهاب إلى المفتش بيكمان لتقصي عليه قصتك. . حتى بدون دلائل، قد تضعين بعض الأفكار في رأسه. . مؤسف جداً. . يا ساندرا. . لأنني أحبك. كان من الممكن أن نتابع حياتنا معاً.

ـ لماذا. . . لماذا تتكلم بصيغة الماضي؟. لا يزال بإمكاننا الاستمرار معاً.

ـ ليس لنا مستقبل معاً يا ساندرا لقد قلت هذا بنفسك منذ ساعة.

ـ لقد كنت مرهقة، ولم أعني ما أقول.

ـ بل كنت تعنين، عنيت كل كلمة. . وهذا مفيد للأسف. لو أنك أحببتني مثلما أحببتك، لكنا وصلنا إلى البعيد. لقد صنعتك على ما أنت عليه بنفسي، كانت لديك الموهبة، ولكنني عرفت كيف أفجرها، لقد صنعت منك أكبر مغنية في العالم، ولكنت صنعت منك أكبر ممثلة، أكبر راقصة، أكبر أي شيء تريدينه. وكل مَنْ سيراك كان سيعرف أنك. . أنا. . أنا القوة من ورائك !.

www.elromancia.com

وبالرغم من هدوئه، وصوته غير المعبر تقريباً، كانت عيناه تلمعان في وجهه، واستمعت ساندرا إليه، وأدركت أن عقله قد انزلق إلى ما وراء التعقُّل، وأنه تعدَّى الأوهام والطموح، وأن طموحه أصبح أعلى من أي مقدرة تعقل، وأنه توصل إلى حدود الشر، رعب الموقف أعطاها قوة فجائية، وأخذ شعر رأسها يقشعر. فهمست :

ـ ماذا ستفعل؟.

رده عليها كان وكأنه يقرر أمراً واقعاً :

ـ سأقتلك. . هذا كل ما أستطيع فعله.

وتقدَّم منها، وعندما تراجعت اقترب أكثر.

ـ لا تحاولي الهرب مني، أنا أطول وأقوى منك ولا أريد أن أؤلمك أكثر من اللزوم. أنا لست مجرماً حقاً، وأنت تعرفين ذلك، وفاة جينا كانت حادثة. فقدت أعصابي معها ووقعت وعندما نظرت إليها كانت قد ماتت. فخفت وهربت من الشقة. . لا تستطيعين لومي إذا خفت أليس كذلك؟.

ـ لا ألومك على شيء.

ردُهِشَت لهدوء صوتها، لو أنها تستطيع أن تقنعه بالثقة بها. لو أنها تستطيع التحدُّث معه إلى أن ترتاح أعصابه، وتستطيع الهرب من الاستديو. وبقيت عيناها مسمَّرتين على الباب الحديدي، وبدا لها بعيداً عدة أميال. كان براد في مواجهة الباب، ربما سيشاهد أحد الضوء ويأتي ليرى ما الأمر، ولكنهاعلمت بأنها تتخيل الأشياء. لأن الضوء لا يمكن أن يُرى من خلف باب حديدي، فقالت مرة أخرى :

ـ لا ألومك على خوفك. . ولكن إذا كان موت جينا بسبب حادثة. وأنا واثقة من هذا. . فليس لديك شيء تخاف منه.

ـ لا تقولي لي هذا. . فالبوليس سيحاول إثبات أن الأمر جريمة. لقد كنت غاضباً جداً حتى أنني كنت سأقتلها. لقد كنت مُحقَّة بعدة أشياء حول جينا وحولي. ولكنها كانت غبية جداً لتدرك هذا. لقد زوَّجتها من أوليفر ساندرز لأنني عرفت أن هذا سيساعدني. ولكنها عندما أتت إلى

لندن وجدت أنها لا تستطيع أن تنساني. كانت تكتب لي وتتوسل إلي أن أجيء إلى هنا، ولكنني لم أفعل.

ـ ولماذا؟.

ـ لم أجيء إلى هنا لأنني أردت أن ألعب لعبتي بحذر. الحادثة كانت ضربة حظ لي. . عندما كانت مريضة كانت تهمس باسمي وهكذا أحضرني أوليفر، وبعد ذلك كان ما تبقى سهلاً. أعطاني الوظيفة وفي وقت قصير أظهرت له مواهبي.

ـ وماذا حدث بعد ذلك؟.

ـ أصبحت عشيق جينا. وأدركت أن أوليفر يلوم نفسه على الحادثة. وتلاعبت بشعور الذنب هذا. وعندما لم تعد تريد أن تعاشره تقبَّل القرار دون مقاومة. فعقدة الذنب أمر فظيع يا ساندرا، وفي هذه الحالة استفدت أنا وجينا منه.

ـ ثم أتيت أنا، ولاحظت أن لديّ موهبة.

ـ أجل. . وعلمت أنني إذا وقفت وراءك فقد تصلين إلى القمة، ولكنني وقعت في حبك. . واكتشفت جينا الأمر سريعاً، وكان عليّ أن أواسيها، لهذا كنت أتركك لوحدك.

ومضى في شرح ما حدث لها، سبب إعلانه عن حبها خوفاً من أن تحب شخصاً آخر، وسبب قوله لها بأنه سينتظرها، وخوفه مما قد تفعل جينا عندما تكتشف الأمر، العديد من الأسباب، العديد من المخاوف، الحب من جهة، والطموح من جهة أخرى.

ـ أنا لم أقابل جينا قبل ذهابي إلى بلفاست، ولكنني رأيتها عند رجوعي مباشرة.

ـ متى؟. لقد عدت تواً إلى الأستديو.

ـ كان هذا عندما كنت تغنين وكنت أشرف على الاستعراض. فأرسلت مساعدي ليحضر لي شيئاً من المكتب.

وتردَّد، وكأنه يجد صعوبة في الإفصاح عمَّا جرى في تلك الربع ساعة وكأنه دون وعي يُخرج الذكريات من رأسه. ولاحظت ساندرا أنه

يتصارع مع الكلمات، فساورها الأمل. لو أنها تستطيع أن تجعله ينهار، أن يبكي، أن يسترخي..

ـ متى صعدت إلى الشقة؟. وكيف فعلت هذا دون أن يراك أحد؟.

ـ عندما كنت أشرف على الاستعراض صعد مساعدي إلى مكتبي.. وكان هناك شخص آخر معي وحاولت التخلُّص منه.. كنت أراقب كل الشاشات الصغيرة، وفجأة لم أعد أستطيع التركيز. فذهبت لرؤية جينا، كنت أعرف أن أمامي ست دقائق فقط. وما أن دخلت الشقة حتى أخبرتني أنها شاهدتك وأوليفر متعانقين، ولم أصدقها وبدأنا نتجادل. وبدأت تصرخ.. تصرخ.. ثم قالت لي إنها حامل وإذا لم أتزوجها ستقول كل شيء لأوليفر. فصرخت بها وازداد صراخها، فدفعتها، ووقعت.. وعندما رأيتها ميتة هربت وعدت إلى الاستديو حيث كانت الفترة الإعلانية قد انتهت ولم يلاحظ أحد غيابي. ولم يُدركوا بأنني تركت البرنامج وهو يُبَثُّ على الهواء. فعندما تظهرين على الشاشة، يعلم الجميع أنني لا أترك الأستديو أبداً. وهذا كان تبرير وجودي ساعة الحادثة. أنا.. أنا..

ونظر إليها وأرسلت الظلال علامات على وجهه، مما أعطاه نظرة جنونية صدمتها وسببت لها الرعب حتى الممات في قلبها وقال لها بغضب :

ـ أنت تلعبين طلباً للوقت. ولكن هذا لن ينفعك، لن ينفعك أبداً.

وتقدَّم منها فصرخت برعب. ولكن، فات الأوان، وأمسكت يداه عنقها وبدأ يضغط، الضغط اشتد وبدأ الدم يضج في أذنيها. وتمايلت الغرفة أمام عينيها، وقاومت بيأس، ولكن دون جدوى، وبدأ الضوء فوق رأسها يتمايل مستديراً، وتأوهت وأحست أنها على وشك الإغماء ولفها الظلام.

ـ ساندرا...

وجاءها الصوت من بعيد.. بعيد..

ـ ساندرا لأجل الله قولي شيئاً.

وبجهد فتحت ساندرا عينيها ورأت بيري منحنياً فوقها بقلق.

ـ دقيقتين وكاد الأمر ينتهي، لو أنك أخفتني هكذا مرة أخرى لتبرأت منك!..

ـ ماذا حدث لبراد؟.

ـ لقد قبض عليه بيكمان، ذعر أمك عندما عرفت أنك قادمة إلى هنا جعلني ألحق بك. ولحسن الحظ اتصلت بالبوليس قبل أن أحضر.

وتوقف بيري عن الكلام عندما تقدم المفتش منهما.

ـ لقد قمت بعمل غبي أيتها الشابة.. لماذا لم تتصلي بنا قبل الحضور إلى هنا؟.

ـ خفت أن لا تصدقني ولم أكن أظن أن هناك وقت للتفسير، أردت أن أحضر إلى هنا قبل أن تُتاح الفرصة لبراد أن يُتلف الشريط.. الشريط.. هل أخذتموه؟.

فهز بيكمان رأسه :

ـ لقد كنا نستمع إلى حواركما لفترة لا بأس بها، ولم نرغب في التدخُّل كي لا نقاطع اعترافه.

فارتعدت وقالت :

ـ أتمنى لو أنني كنت أعرف.. لقد اعتقدت بأنه سيقتلني.

وامتلأت عيناها بالدموع وبدأت تبكي. فربت بيري على كتفها وهز المفتش رأسه قائلاً :

ـ الأفضل أن تبكي، وستتوقف عن البكاء عندما تشاهد السيد ساندرز.

عند ذكر اسم أوليفر رفعت ساندي رأسها وسألت :

ـ متى أستطيع رؤيته؟.

ـ في أي وقت تشائين، لقد اتصلت بالدائرة، وإذا عدت الآن إلى المنزل فسيلحق بك في وقت قريب.

ولم يكن المفتش دقيقاً جداً في تخمينه، فعندما وصلت ساندرا إلى منزلها وجدت أن أوليفر قد سبقها إلى هناك وينتظرها، وقالت لها أمها :

ـ إنه في غرفة الاستقبال، سأترككما لتحضير القهوة وبعض السندويتشات، يبدو أن كُلاً منكما بحاجة إليها.

وعانقت أمها، وهي لا تزال مصدومة، حتى أنها لم تستطع الكلام، وفتحت الباب، وقد غمرها الفرح، ولكنها لم تستطع أن تخطو إلى الداخل، ولم تكن بحاجة لأن تخطو، فقد قطع أوليفر المسافة بينهما، ولفها بين ذراعيه، وقال هو يمرر يده على شعرها :

ـ عندما أفكر بما كان يمكن أن يحدث لك. . .

وبقيا متلاصقين لفترة طويلة، قانعين بالبقاء معاً هكذا، ولا لزوم للكلمات، ولكنهما أخيراً تباعدا وجلسا على الأريكة، وقال أوليفر :

ـ لو أنني لم أشعر بالذنب لحادثة جينا، لتمكنت من رؤيتها بشكل أوضح. ولكنني كالأبله، فقدَّرت أن كل تعاستها تعود إلى واقع أنها لا يُمكن أن تنجب أطفالاً، ولم أدرك أنها كانت تحب. . لم أدرك أبداً أنها تحب براد، فلو عرفت، لمنحتها حريتها.

ـ لا يمكن أن تلوم نفسك. . براد ما كان له أن يتزوج جينا، لقد كانت مفيدة له طالما أنها زوجتك.

ـ سيدفع الثمن، حتى ولو كان الأمر حادثة، كما يَدَّعي، فسوف يدفع الثَّمن. . بيكمان يعتقد أنه مجنون.

ـ إنه مجنون فعلاً، كان يجب أن تراه الليلة، لا أستطيع تحمُّل التفكير بما حصل.

وأغمضت عينيها، فلمس أوليفر وجهها بأصابع رقيقة.

ـ حاولي أن تُخرجي الذكرى من ذهنك، لقد واجهنا تعاسة كبيرة في الأشهر الماضية، ولا أريد إفساد المستقبل بالتفكير بما حدث الليلة. جينا ماتت، ولن يعيدها شيء، ولا يجب أن يكون أمامنا شيء نأسف عليه، لقد فعلت ما بوسعي لأجعلها سعيدة، وأريد أن أحيا ما تبقَّى من عمري دون عقدة ذنب.

واقتربت منه ثانية :

ـ أوه يا أوليفر. . أنت لست مذنباً أبداً. . كانت تريدك أن تكون

سعيداً، آخر كلمات قالتها لي أن لا شيء أهم من الحب. وأعرف الآن أنها رأتني بين ذراعيك، وكانت تحاول أن تقول لي ذلك بدون أن أشعر.

ـ أعتقد أنك على حق يا حبيبتي.

ورفع رأسه نحوها، وتعانقا، وكأنهما يحاولان التعويض عن الوقت الذي أمضياه متباعدين، عن الساعات الطويلة من الألم الذي تحمَّلاه. وكانت مشاعرها جيَّاشة حتى أنها ارتجفت بعنف فتحرَّك أوليفر مبتعداً عنها وأجبرها على إسناد ظهرها إلى المقعد، وقال ممازحاً :

ـ حان وقت فترة الإعلانات. . أظن من الأفضل أن نتناول القهوة والسندوتشات التي وعدتنا بها أمك.

وكان متجهاً نحو الباب ليذهب، فتوقَّف لينظر إليها قائلاً :

ـ استعراضنا سيستمر يا ساندرا، أنت وأنا سنلعب الأدوار الرئيسية لمدة سنة على الأقل، ثم ربما نُنجب صبياً وبنتاً ليلعبا معنا الأدوار الثانوية !. .

وانفجر الضحك بينهما، . . الكلام عن المستقبل، الذي كان منذ وقت قصير، مظلماً جداً، قد أصبح الآن لامعاً جداً. وقالت له وهي ترمي إليه قبلة في الهواء :

ـ هذه لنا.

فأجابها : «لنا. . إلى الإبد».

www.elromancia.com